زي كل سنة

عبد الرحمن حجاج

رواية

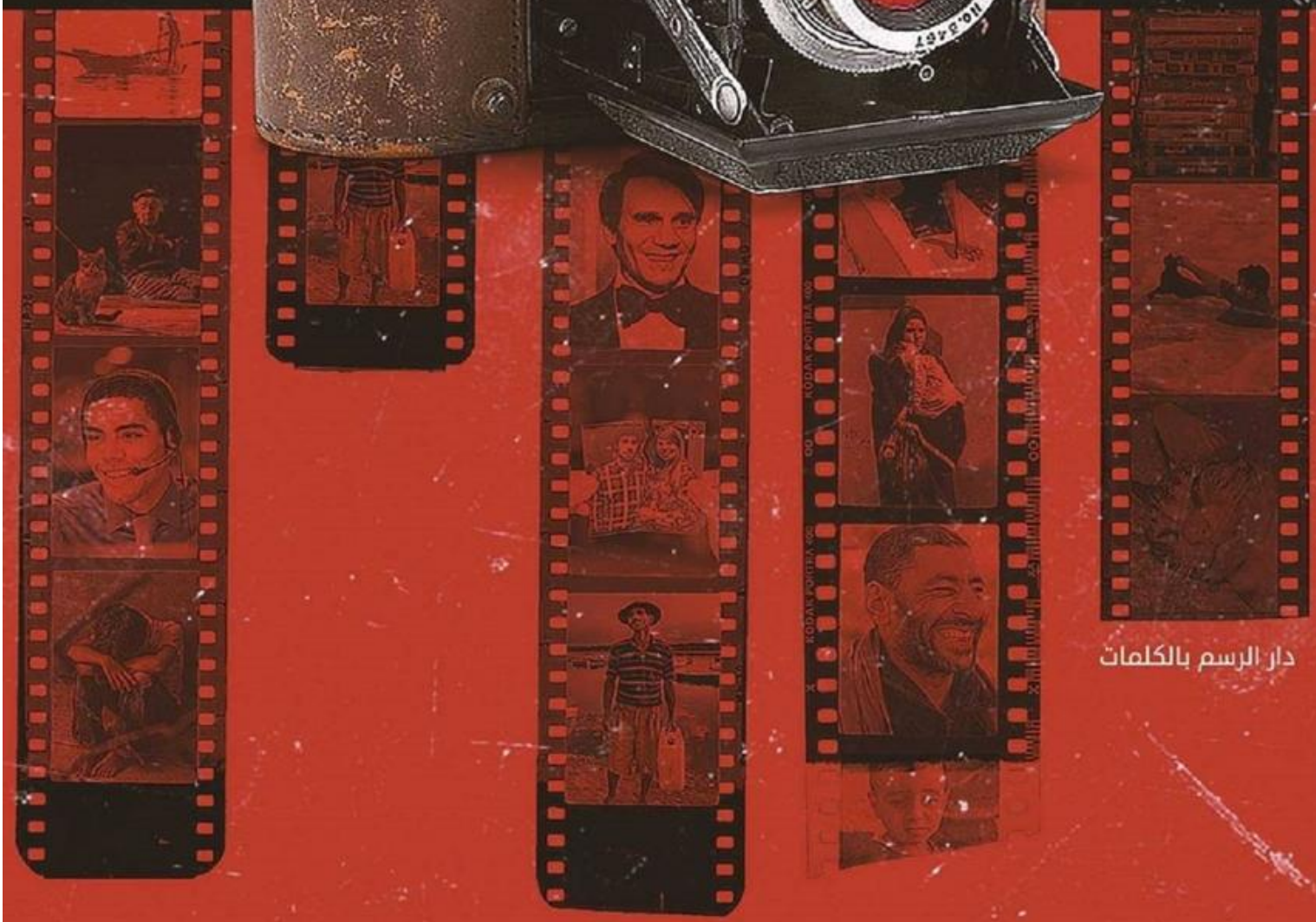

دار الرسم بالكلمات

زي كل سنة

عبد الرحمن حجاج

رواية

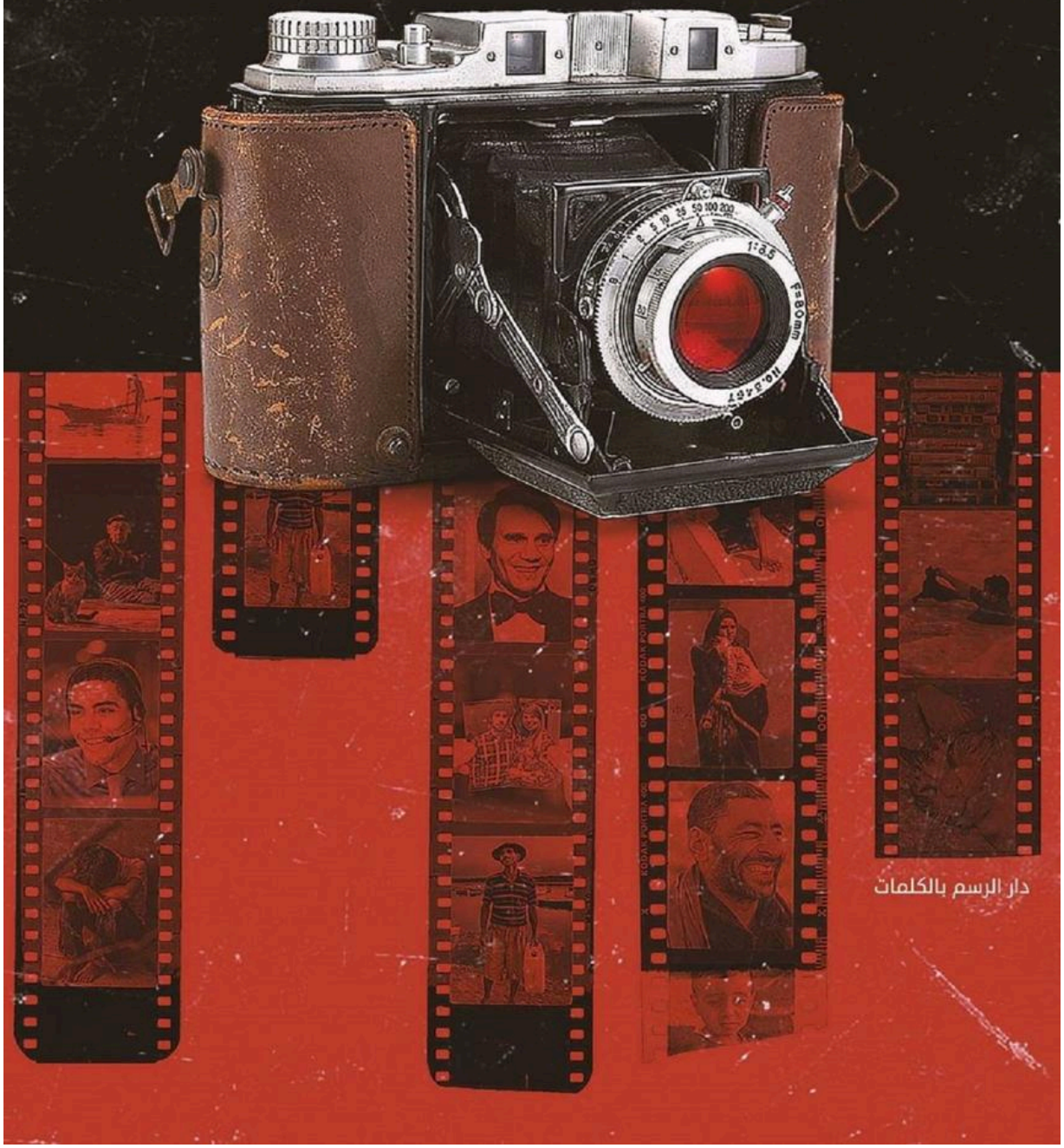

دار الرسم بالكلمات

{IMG_PLACEHOLDER}

زي كل سنة

رواية

عب الرحمن حجاج

إهداء

لهؤلاء الذين يحتفظون بالصور القديمة والذكريات معتقدين أنها ما تبقى في النهايات.. جتكم ستين وكسة وخيبة.

للموهوبين في أي مجال، المطربون والرسامون، الراقصون وحتى اللصوص.

للأشياء التي رميناها قبل فوات الأوان.. والأشياء التي تأخر كثيرًا رميها.

إهداء تاني

إلى العظيمين

خالد صالح و عبد الحليم حافظ

إهداء خاص

لعيلة «دار الرسم بالكلمات».

الناشر محمد المصري.. مش هنسى أول مرة قابلتك في وسط البلد لما سألتني انت عايز تعمل رواية والسلام ولا عايز تبقي كاتب؟. ومن ساعتها وانت واقف في ضهري ومستحمل موبايلي اللي دايمًا غير متاح.

رجاء (أو رجاءو).. شكرًا على إنك بتعاملي كل كاتب في الدار على إنه أخوكي أو أختك.. مش بتبخلي على أي حد بوقتك، نصايحك ورأيك.

الكاتبة الموهوبة جدًا.. سلمى سامح شمس الدين.. شكرًا على إننا بقينا صحاب.. وشكرًا على موهبتك العظيمة جدًا.. نور عبدالمجيد المستقبل.

إهداء أخير

لعيلتي.. يا رب الرواية تعجبكم

صحابي.. نحترم نفسنا بقى ونقرا.

زي كل سنة

إيه في الدنيا حقيقي؟

اللي احنا عايزين نشوفه حقيقي.

هو بس اللي حقيقي.

أسوان – الأحد ١/١

كان الوقت قبيل الفجر بعدة ساعات والجزيرة يحيطها الظلام الحالك مثلما يحيط الخوف قلوب مواطنيها البسطاء فيحتمون داخل جدران منازلهم المتهالكة معتقدين أن تلك الحيطان اللينة والأسقف البالية ستحميهم من شرور الجان والأساطير التي كثيرًا ما سمعوا عنها من أجدادهم فأصبحت جزء لا يتجزأ من حياتهم.

يستنجد المسافرون والساهرون بضوء القمر والنجوم للرؤية واستنباط الطريق ولكن تلك الليلة كان القمر مخاصمًا السماء وتوارت النجوم عن أعين المريدين، فقط المصابيح الزيتية كانت الدليل والأعين لهؤلاء الرجال الثلاثة في تلك الليلة العتماء.

سار القارب الكبير نسبيا يحرك مياه النيل الساكنة، يحمل فوقه ثلاثة رجال وحصان، حتى وصلوا للضفة الأخرى، في إحدى أركان جزيرة غرب سهيل النوبية.

ترجلوا جميعًا من القارب وسلكوا طريقًا غير ممهد حتى وصلوا لمنطقة بدا عليها أثار التنقيب والحفر.

وقف توفيق باشا أنيس وهو رجل شديد الضخامة شديد البياض، له شارب عظيم ويرتدي بدلة أنيقة ويمتطي حصانًا أسود لم يظهر منه سوى عينيه بفعل الظلام يحمل في يده اليسرى المصباح لينير

تلك الحفرة حديثة الحفر وفي يده الأخرى أمسك بلجام فرسه، دقائق قضاها في انتظار شيء ما ولكنه أصيب بالتوتر فنادى على شخص يدعى شفيع داخل الحفرة العميقة.

فيه أي أخبار يا شيخ شفيع؟

خير يا توفيق باشا.. أؤمر متوكل يناولني الزيبق الأحمر إذا سمحت.

اديله الزيبق يا متوكل.. النهار قرب يطلع علينا.

ذهب متوكل وهو شاب نوبي صغير السن لظهر الفرس وأخرج من جيب حقيبته زجاجة صغيرة وناولها للشيخ شفيع بعناية وقلق.

خلي بالك يا شفيع.. شوية الزيبق دول كلفوني ثروتي.

ما تقلقش يا باشا.. ناولني العتلة يا متوكل.

بدأ شفيع وهو الذي تجاوز العقد السابع من العمر بإزالة أكوام من الصخور من الحفرة بمهارة شاب يافع حتى اصطدمت عتلته بجسم حديدي يشبه العلبة، أمسكه شفيع ونظر له بتعجب وناوله لتوفيق باشا الذي لم يبدِ أي اهتمام بل أخذ ما في يد شفيع وألقاه بلا اكتراث داخل الحقيبة التي تعلو ظهر الفرس.

احنا مش جايين ندور على كراكيب ومفقودات يا شيخ شفيع.. الدهب يا شفيع!! الدهب!!

أوامرك يا باشا..

سكب شفيع محتويات القارورة في مكان ما داخل الحفرة وبدأ بتلاوة بعض الجمل التي لم يفهمها توفيق باشا أو متوكل حتى رأوا دخانًا كثيفًا يخرج من الحفرة وصوتًا غريبًا مخيفًا يأتي من داخلها قائلًا:

«الزئبق غير نقي.. الزئبق غير نقي.

طالبين المدد.. وطالبين الكنوز».

زادت كثافة الدخان والصوت يعلو مرددًا نفس الجملة بأن الزئبق غير نقي وفجأة اختفى الصوت والدخان.

إيه اللي حصل يا شفيع؟

الجن اللي حضر قال إن الزيبق بتاع معاليك مش نقي.. رفضه..

رفضه؟ بتعمل تمثيلية عليا أنا؟ بتحاول تخدع توفيق أنيس!!

أخرج توفيق باشا من جيبه مسدسه الروسي وأطلق منه طلقتين استقرا في قلب وجمجمة شفيع الذي سقط ميتًا داخل الحفرة التي حفرها بيده، ترجل بعدها عن صهوة جواده ونظر بحسرة إلى داخل الحفرة التي وضع عليها كل آماله وأحلامه ليضع بعدها فوهة المسدس في فمه ويضغط زناده ليسقط جثة إلى جانب جثة الشيخ شفيع، ألقى متوكل نظرة عليهما وهو مصاب بالرعب مما قد رآه للتو قبل أن يضع حقيبة توفيق باشا على ظهره ويمتطي الفرس ويرحل بعيدًا.. بعيدًا حتى عن مدينته الجميلة.

لأسابيع تحدث الناس عن حادثة توفيق باشا أحد أغنى الأغنياء وأكثرهم نفوذًا، تحدثوا عن كل تلك الأراضي التي تركها وراءه بلا وريث، تحدثوا عن بشاعة منظر جثته وعن علاقته بالشيخ شفيع الدجال الأشهر في أسوان، تحدث الجميع حتى نسوا الأمر برمته؛ إلا شخصٌ واحدٌ أبدًا لم ينسَ تلك الليلة المشؤومة وتلك العلبة التي أخرجها شفيع من حفرته لتغير حياته كلها.

شاب بسيط.. اسمه متوكل.

وسط البلد - الاثنين ١/١

في شارع قصر النيل وتحديدًا في دكان برعي المكوجي، اندمج مساعده عصام بمشاهدة جارتهم البدينة «أم أشرف» في شرفتها وهو يجلس القرفصاء بينما تنشر هي غسيلها مرتدية قميص نوم كشف عن الكثير مما لم يره عصام من قبل إلا في بعض الأفلام الأجنبية وهي تدندن قائلة «أسمر يا اسمراني.. مين قساك عليا» قبل أن تفيقه صفعة على مؤخرة رأسه من الأسطى برعي المكوجي أعادته إلى أرض الواقع وهو يهدده من ردة فعل الأستاذ مراد إذا تأخر عن كي بدلته.

ياض هتتعمي من كتر البص على الولية أم أشرف.

حلاوتها هتموتني يا معلم برعي.

استاذ مراد هو اللي هيموتك لو البدلة اتـأخرت عليه.. النهارده أول الشهر.. يوم حفلة عب حليم يا مغفل.

ثواني وتكون البدلة عنده يا معلم.

أما في شقة الأستاذ مراد، من الجرامافون انبعث صوت العندليب الأسمر يشدو قائلًا «في سكون الليل تصحى الأشواق.. ويناجي الليل كل العشاق».

نعمت كعادتها، في المطبخ تصنع خليطها المفضل من عصير الدوم والتمر هندي وهي تدندن مع أنغام الأغنية وإلى جانبها كنكة بها قهوة زوجها المفضلة، تشتريها له كما يحب تمامًا، بنًا غامقًا محوجًا مضافًا إليه المستكة بكثرة.

في الغرفة الأخرى يقف مراد أمام مرآة الحمام يهندم شاربه بمشط صغير وهو يصفر في سعادةٍ لحن عبد الحليم حافظ.

كان مراد في النصف الأول من عقده الثالث ولكن هذا الشارب أعطاه هيبة أربعينية محببة إلى قلبه، شقة مراد تقع داخل مبنى ذا طابع فرنسي عظيم الهيئة يطل على ميدان طلعت حرب مباشرة،

شقة من يراها يدرك أن من يقطن بها لابد وأنه عاشق للفن، كل غرفة تحوي على راديو في الوقت الذي كان فيه وجود راديو واحد في المنزل هو أمر كافٍ ورائع، هذا بالإضافة إلى الجرامافون الذهبي الموجود في غرفة نوم مراد، في غرفة السفرة عود قديم معلق على الحائط يقال إنه كان ملكًا للمطرب محمد عبد الوهاب واشتراه والد مراد في مزاد خيري منذ عدة أعوام، أكثر ما يميز الشقة كانت صورةً كبيرة لعبد الحليم حافظ علقت في برواز عتيق أمام باب الشقة يظهر بها وهو مندمج في الغناء.

البدلة اتكوت يا نعمت؟

على السرير يا حبيبي.. لسه الواد عصام جايبها.

والجزمة؟

اتلمعت.. كل حاجة تمام، ما تقلقش..

ما اقلقش ازاي بس يا نعمت.. دي حفلة عبد الحليم.. دي ليلة عيد يا نعمت..

لسه برضه عايز تقابله؟

و مش هيهدالي بال غير أما اتكلم معاه.. يلا سيبيني أكمل لبسي..

كمل لبسك على ما اجيب لك فنجال القهوة.

استكمل مراد ارتداء ملابسه وتناول قهوته التي ورغم أن نعمت قامت بغليها إلا أنه لم يكن في وضع يسمح له بالشكوى.

قبل مغادرة المنزل دخل مراد إلى غرفة مكتبه وفتح خزينة صغيرة داخل دولابه أخرج منها شيئًا بعناية ووضعه داخل علبة صغيرة قام بغلقها وهو يزفر متوترًا:

على الله يكون بفايدة بس.

قالها لنفسه بعدها خرج من المنزل يصارع هواء يناير وهو يحمل بين يديه العلبة ليستقل أول سيارة أجرة وجدها بعدما ألقى نظرة على محله المغلق متجهًا إلى دار الأبرا المصرية.

دهب - الثلاثاء ١/١

في تلك الحقيبة التي كان يحملها نوح معه دومًا في سفرياته المتعددة، تحديدًا في تلك الليلة التي أخبر فيها «حياة» أنه يحبها، وجد خطابًا مخبأ بعناية في أحد جيوب الحقيبة، على ظهر الظرف المغلق كتب صاحب الجواب «لنوح.. اللي ركبت مركبته.. فا مغرقتش».

عرف منذ اللحظة الأولي أن صاحبة الجواب هي سلمى، يعرف خطها ويعرف جيدًا إنها تضع بين كل بضعة كلمات العديد من النقاط، تسميهم نقاط التفكير فتصنع هي قوانين أدبية خاصة بها.

اعتقد نوح بأنه سيكون جوابًا طويلًا وراءه قصة ما، ولكن خيبت آماله عندما اكتشف أن الجواب لم يحمل إلا جملة واحدة فقط وهي « زمان لما كنا بنقفل لعبة النينتندو كانت بتظهر جملة بتقول إن كل ما لم يتم حفظه سيضيع.. حاول تحفظ كل حاجة بتحبها في حياتك يا نوح.. عشان ماتخسرش أي حاجة.. أبدًا».

الزمالك – الأربعاء٣١/١٢

يرى حسن أنه أمضى الثمانية والعشرين عامًا وهي حصيلة سنين حياته في فعل اللاشيء، مجرد سنوات مملة لم يحقق فيهم أي إنجاز يذكر، ومنذ أن بدأ عمله في هذا الكول سنتر اللعين لسلسلة مطاعم شهيرة منذ ٦ أشهر وهو يكره حياته كل يوم أكثر وأكثر، العاملون بوظيفة الكول سنتر ليس فقط عليهم أن يجلسوا على مؤخرتهم لمدة ٨ ساعات يوميًا بل وأيضًا عليهم تقبل الكثير من الإهانات، الكثير من السباب والكثير والكثير من الاستظراف.

كم تمنى كثيرًا أن يصبح طبيبًا للأطفال أو حتى أي وظيفة أخرى يشعر معها أنه يحقق ذاته، ولكن مجموعه خذله كثيرًا رغم سعيه وقتئذ في المذاكرة والاجتهاد، مجموعه أهّله ليدخل كلية آداب قسم فلسفة، تعين في عدة مدارس ولكن المرتب كان عائق حياته، فالمرتب الصغير لن يؤهله ليبني أي شيء لمستقبله أو حتى كان يكفيه ليتمم بهم أيام الشهر الثلاثين وانتهى به المطاف في النهاية كعامل كول سنتر يردد الكثير من الجمل الرتيبة بعدما هرب من البشر والأصدقاء والحب الأوحد الذي لم يذقه حتى.

وما بين حبٍ فاشلٍ وحظٍ عاثرٍ وجد نفسه في نهاية المطاف جالسًا في مكانه بلا أي مستقبلٍ واضح.

يحفظ حسن تلك الجمل عن ظهر قلب، يقولها مئات المرات كل يوم ويشعر معها أنه تحول لروبوت يكرر بعض الجمل المحفوظة أو حتى لعبة بالية تعمل بالزمبلك.

«حسن مع حضرتك يا افندم.. الأوردر على نفس الرقم ولا رقم تاني.. الأوردر هيوصل لحضرتك على أنهي عنوان.. ممكن أراجع الأوردر مع حضرتك.. شرفتنا باتصالك ونتمنى لحضرتك وجبة سعيدة.. حضرتك تحب تجرب الكيكة اللذيذة» والكثير والكثير من الجمل السخيفة التي يكره نفسه حين يقولها.

يجلس حسن في هذا المكتب وحيدًا، غرفة بيضاء بها تكيف مركزي يصيب كل ما في الغرفة بالشلل من شدة برودته، لا يقوى حتى أن يقوم من مكانه ليطفئه، الفريون الخارج من التكيف يشعره أنه سمكة رنجة لينة ظلت داخل الثلاجة لشهور فأصابه العجز في كل أطرافه، كل زملائه انتهوا من عملهم منذ ساعات طويلة استعدادًا للاحتفال بتلك الليلة التي يراها حسن مثلها مثل باقي أيام السنة، لا شيء مميز بها على الاطلاق.. ليلة رأس السنة.

«لعن الله كل تلك الاقساط التي تجبرني على المكوث في تلك الغرفة المملة وهذه الوظيفة السخيفة في الليلة التي أمضيها دائمًا في فراشي الدافئ أحتسي بعض الشاي».

تمنى دومًا أن يهاجر، يترك كل شيء خلف ظهره وأن يرحل بلا عودة وفي كل مرة يستعد فيها ليبدأ في إجراءات الهجرة يصيبه الرعب وينسى الأمر برمته ليعود واحدًا مثل الملايين.

نفسي أسيب كل حاجة ورا ضهري وامشي وما ارجعش تاني.

كان يشعر ببعض الونس في وجود عامل النظافة المخضرم عم مرسي الذي جلس على سجادة صغيرة يحضرها معه يوميًا للعمل، افترشها وجلس في يده اليمنى كوبٌ من الشاي الثقيل وفي يده الأخرى راديو باناسونيك قديم خرج منه صوت مهزوز للعندليب الأسمر وهو يغني «موال الصبر اهو داب من يوم الحب ما غاب» ولكن سرعان ما انتهى هذا الشعور عندما اتصلت زوجة عم مرسي وطلبت منه العودة للمنزل لأنها صنعت له فتة بالكوارع فتهللت أساريره وأغلق صوت حليم الذي فضل عنه الكوارع وبقي حسن في تلك الغرفة الموحشة لساعات حتى رن الهاتف كاسرًا صمت المكان:

مساء الخير.. حسن مع حضرتك يا افندم..

حسن.. أنا هموِّت نفسي..

المعادي – الجمعة ١/١

في حي المعادي، تحديدًا في ميدان الحرية. جلست هند في شقة صديقتها أروى تشاهد التلفاز في توتر وقلق بينما كانت أروى مشغولة بفعل شيء ما في المطبخ.

لم تعرف أروى أبدًا معنى الأسرة، فقد عاش أبواها دائمًا في بلاد مختلفة، وعاشت هي حياتها كلها مع جدتها، وحتي بعد وفاة أبويها وجدتها لم تشعر بالوحدة، لديها لوحاتها ومرسمها الذي يشغل كل وقتها، وحتى الحب لم يكن بالشيء الهام بالنسبة لها فلولا إلحاح عمر المستمر لتعطيه فرصة ما كانت ستعيش تلك التجربة العاطفية التي في نظرها تحصيل حاصل.

كانت الشقة كبيرة نسبيًا، أو ربما تظهر كبيرة بسبب قلة الأثاث فيها، فأروى -ولولعها الشديد بالرقص - أرادت ما قل من الأشياء في منزلها كي تتمتع بالرقص وقتما أحبت وأرادت وبالطبع لتفسح أكبر مجال للوحاتها التي تتباهى بهم أمام الناس.

كانت أروى مندمجة مع الموسيقي اللاتينية المنبعثة من الآيباد الخاص بها حتى استفاقت من شرودها وهي تقطع بعض الخيار على صوت هند المتوترة دائمًا.

أنا out يا أروى.

(تنهدت أروى بغضب قبل أن توجه كلامها لهند).

بلاش غلاسه يا هند.. احنا اتفقنا هنجرب مع بعض.. مش هنيجي نرجع في كلامنا في آخر دقيقة زي العيال.. حميد وعمر زمانهم في الطريق.

مش غلاسه والله.. أنا بس خايفه.. وبعدين انتي عارفه كويس أوي إني عمري ما برجع في كلامي.

(بدأ شخصٌ ما بالطرق على الباب).

هند كانت دائمًا حذرة في كل خطوات حياتها، كانت وحيدة دائمًا رغم عائلتها الكبيرة والمكونة من خمسة إخوة إلا أن الجميع كان يراها غريبة الأطوار وطالما أطلق عليها الكثيرون اسم «هند الملبوسة» حتى تعرفت في العام الدراسي الأخير بالجامعة على أروى والتي بدورها عرفتها على عمر حبيبها وحميد صديقهم وأصبح الأربعة مجموعة صغيرة غريبة بعض الشيء.

هند كانت تلك الفرد من الأسرة التي حقًا لا تشعر بوجودها، في كل المناسبات العائلية يسأل الجميع عن إخوتها ونادرًا ما يتذكرها أحد، من أصلًا سيريد أن يرى تلك المنطوية قليلة الكلام والابتسام؟!. الإجابة.. لا أحد على الإطلاق.

أهم وصلوا.. اجمدي كده.. هنتبسط بجد..

افتحي بس.. والله هروح في داهية بسببك في يوم من الأيام.

احنا صحاب بقالنا ٦ سنين.. عمري سوّحتك في أي حوار؟

.....

أهو.. شفتي بقي.. استني بقى أفتح للعيال اللي هيكسروا الباب دول.

دلف عمر الذي جذب أروى من خصرها واحتضنها حضنًا سريعًا ومن بعده حميد إلى داخل الشقة، عمر شاب شديد الوسامة، يشبه إلى حد كبير الممثل أحمد عز إلا أنه كان أقصر قليلًا وحليق الرأس، كان يرتدي قميصًا أبيض ضيق للغاية كي يظهر عضلاته، أما حميد فكان شكله غير مهندم تمامًا، شعره طويل للغاية ويربطه على شكل كحكة ويرتدي تي شيرت فضفاض وسلاسل كثيرة حول رقبته، جلس حميد على أقرب مقعد للباب وأشعل سيجارة حشيش ولم يكترث حتى لإلقاء السلام على هند وأروى، أما عمر فوقف بين الفتاتين وابتسم قائلًا في سعادة غريبة:

جاهزين؟

بوابات القاهرة – ١٥/١٢

كان اليوم شبه خالٍ من المسافرين، فرغم غرابة الفعل إلا أن تامر انتهى من وضع البنزين في السيارة والتأكد من الماء والزيت بالإضافة إلى تزويد الإطارات بالهواء في زمن لم يتعدَ العشرة دقائق، جلس تامر على ظهر سيارته الـ نيسان السوداء أو نوسه كما يحب أن يطلق عليها والتي إن نطقت لتوسلت له أن يبيعها أو يلقيها في أحضان البحر بسبب تعامله (الغشيم) معها، كان تامر يرتدي قميصًا امتلأ بالورود وطيور الفلامينكو وشورت أبيض قصير بدا مضحكًا مع قدميه الطويلتين، متربعًا منشغلًا بهاتفه المحمول بينما جلست ندي مستلقية على كرسي السيارة رابطة شعرها على شكل كحكة والتي بدت كأن شخصًا أيقظها للتو من النوم داخل السيارة تستمع للأغاني الأجنبية في اندماج شديد.

كانت الشمس حارقة في هذا اليوم الشتوي، لم يقوَ تامر على النزول حتى من فوق السيارة ليأتي بنظارته الشمسية من الداخل فخبط بيده على النافذة فانتفضت ندى من جلستها.

انت حمار يا تامر؟

هاتي طيب نضارتي من جنبك ولمي لسانك ده.

غضبت أكثر من بروده فقررت أن تعند معه أكثر قائلة:

مش هدِّي لك حاجه.. عشان تتعلم تخبط كده تاني.

ندى بلاش شغل عيال.. كفايه أستاذ نوح اللي بقاله ساعة في the run on.. ده انا حطيت بنزين وشربت سيجارة وهو لسه جوه.

هكلمه طيب.. استني.

أخذت ندى نظارة تامر في يدها ولوحت له بها قبل أن ترتديها هي وتقول ضاحكة:

وبرضه مفيش نضارة.

ظهر نوح وهو يحمل العديد من الأكياس في يده وابتسم متأسفًا على تأخره:

معلش يا جماعة.. اتأخرت شوية.

إيه يا عم نوح انت نمت جوه ولا تكونش قابلت سلمى هناك.

خرجت ندى من السيارة غاضبة وهي توجه كلامها لتامر:

تامر!

سيبيه يا ندي.. انتي عارفه تامر وهزاره.. لا يا تامر سلمى مكانتش جوه ولا حاجه.. ممكن نمشي عشان نوصل في البدري.. ورغم إنك سخيف بس محضر لك مفاجأة لما نوصل دهب.

مفاجأة إيه؟ انت مش كفاية مسفرنا ومسيبنا اللي ورانا واحنا زي المغفلين ماشيين وراك.

اصبر وشوف!

كوبري ستانلي – السبت ١/١

إن كانت القاهرة هي بلد الألف مئذنة فالإسكندرية هي بلد المائة ألف صياد.. وأشهرهم كان عم عرفة.. عم عرفة البحراوي.

لم يتزوج عم عرفة في يوم من الأيام ولم يكن له أبناء، كان أصدقاؤه هم جيرانه، صنارته، مركبه، شباكه وقطط الشارع.

فيما مضي كان لعم عرفة مركب كبير يشبه كثيرًا قلبه الذي امتلأ بمحبة الناس جميعًا، يأخذه كل صباح إلى أبعد ما قد يصل من اليابس أو إلى الـ (غريق) كما يطلق عليه عم عرفة ويعود في صباح اليوم التالي يحمل داخل قاربه كل ما لذ وطاب من المخلوقات البحرية التي لم يكن فقط يكتفي هو بصيدها بل بطبخها أيضًا في محل متناهي الصغر أسفل منزله في محطة الرمل، في الواقع هو لم يكن محلًا، بل كانت عربة مثل عربات الفول المنتشرة في كل مكان ولكن كان لها واجهة زجاجية ومزينة بصدف بحري كون حروف اسم (عرفة).

يذهب في البداية عند عودته من رحلته إلى حلقة السمك ليبيع أكبر قدر مما أتى به من البحر وفي المساء يبدأ عمله في مطعمه المتواضع والذي لا يخرج قائمة طعامه عن أطباق سمك البيسارية، الجمبري المقلي المضاف إليه الشطة والليمون وسندوتشات السمك المقلي والسبيط.. قائمة طعام صغيرة ولكن لها سحر أعطى عم عرفة شهرة واسعة في الإسكندرية وعلى صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، ولم تكن شهرة طعام عم عرفة تنحصر فقط في جودته ومذاقه الرائع بل

أيضًا بسبب أسعاره البسيطة التي طالما تعجب منها مريدينه وكان دائمًا ما يقول «أصل السمك ده من البحر.. والبحر كريم»، وفي نهاية يومه يعطي ما تبقي من طعام لأصدقائه المفضلين؛ قطط الشارع.

أعوام كثيرة مرت أصابت عم عرفة بالعجز بعدما طعن في السن وأصابت مركبه أيضًا الذي تشقق حتى انتهى بهِ الأمر كخشبٍ يُباع في سوق الجمعة، وأصبح عم عرفة البحراوي صيادًا ضمن كثيرين ممن يجلسون على كوبري ستانلي، يلقون بصنانيرهم وشباكهم في البحر.. وينتظرون.

المعادي

نظرت أروى إلى عمر بنفاد صبرٍ بعدما وجدته لم يفعل أي شيءٍ بعد جملته الأخيرة.

ها يا عم الساحر.. ما قلنا جاهزين.. هتطلع لنا أرنب ولا إيه؟

سيبك من الأرانب.. هطلع لك فار بدل الأرنب.

كده أنا المفروض أضحك دلوقتي؟

مش بهزر والله.. أهو.. mickey mouse دا فار ولا مش فار؟

أخرج عمر من حقيبته ورقة كبيرة تُشبه ورق القص واللزق عليها صورة كبيرة للفأر الأشهر على الإطلاق في العالم mickey mouse.. الورقة الكبيرة مقسمة لمربعاتٍ صغيرة جدًا تُشبه طوابع البوسطة التي كانوا يستخدمونها فيما مضى، قطع عمر أربع مربعات من الورقة وأعطى واحدة لهند وأخرى لأروى، تعجبت هند واستفسرت من عمر عما في يدها فقال ضاحكًا:

هو دا الـ acid اللي قلت لك عليه.. سيبك بقى من جو الحشيش والبيرة وشغل إعدادي دا.. اللي في إيدك دا خيال.

نظرت أروى للتذكرة التي تحملها في يدها ونظرت بعدها إلى عمر متسائلة:

ودي أبلعها ولا إيه؟

لا.. حطيها على لسانك وسيبيها تدوب لوحدها.. هي طعمها هيبقى مر شوية في الأول بس ما تركزيش يعني واستمتعي بالسحر.

نظرت هند لأروى ومن ثم إلى عمر وهي ترتعش:

أنا خايفة.. هو أنا ممكن أموت؟

هاهاها.. لا يا دودو.. الـ acidمش بيموت.. يلا بقى.. أنا معاكي ومش هخلي حاجة وحشه تحصلك..

طب يعني إيه اللي ممكن يحصل.. فهمني يا عمر!!

بصي إنتي أكيد هتهلوسي، أكيد هتشوفي حاجات وهمية، هتلاقي نفسك شوية زي سبيدرمان لما العنكبوت عضه وحواسك رجعت تاني brand new ويمكن تلاقيهم أحسن من الأول كمان، يمكن تفتكري ذكريات قديمة، عينك هتكبر أو إنتي هتحسيها بتكبر وهيبقى عندك طاقة فنية مرعبة، عشان لما أروى تلاقيها بتبدع في الرسم تبقي تشكريني، أهم حاجة واللي لازم أقولك عليها إنك إوعي تسيبي نفسك تدخلي في bad trip..

يعني ايه bad trip.

ده الخرا اللي ممكن يحصل من الأسيد.. بس زي ما قلت لك أنا مش هخلي حاجة وحشة تحصل لك.

وانا كمان يا دودو.. يلا بقي..

نظر لهم حميد وهو يبتسم بسخرية:

يا جدعان لو البنت خايفه بلاش منه.

طب طمني انت يا حميد.. انت مجرب كل حاجة وعارف.

متخافيش.. أنا قاعد أهو عشان آخد بالي منك، أنا ضربت مع الواد عمر ده كل حاجة ممكن تتخيليها وتمام يعني الواد جدع وبيسد وقت عوزه..

الزمالك

حضرتك أكيد اتصلتي بنمرة غلط.. حضرتك معاكي حسن من مطعم....

أنا عارفه إنك حد أنا ما اعرفوش.. أنا مسك يا حسن.. اسمي مسك.. وحاليًا قدامي أقراص لو بلعتها هموت.. وحسيت اني محتاجة أتكلم مع حد ما اعرفوش قبل ما انهي حياتي..

حضرتك بتهزري؟. حضرتك احنا المكالمات كلها مسجلة فا لو ده هزار أنصحك...

والله بتكلم بجد.. دايمًا الشخص الغريب بيبقي أقرب إنسان ليك.. زي دكتورك النفسي مثلًا.. فاهم حاجة؟

حضرتك....

مسك.. قول لي يا مسك..

مسك.. انتي عايزه مني إيه؟. أقصد.. في حاجة ممكن أساعدك بيها؟

تسمعني.. محتاجة حد اتكلم معاه من غير قيود.. لو وقتك يسمح..

أنا قاعد في كول سنتر ليلة راس السنة.. أكيد مش ورايا أي حاجة.. احكي.. عايزه تموتي نفسك ليه؟

طريق السويس

نوح، تامر وندي أصدقاء منذ زمن طويل، كانوا في نفس المدرسة والتحق ثلاثتهم بكلية الإعلام، نوح أراد وبشدة منذ الطفولة أن يكون صحفيًا سياسيًا ولكن انتهي به المطاف كمحرر لمجلة اجتماعية تختص بمشاكل المرأة، تامر يعمل مهندس صوت بإحدى القنوات الفضائية أما ندى فهي مذيعة النشرة الجوية في نفس القناة التي يعمل بها تامر، كانوا ورغم اختلاف شخصياتهم نموذجًا لأصدقاء العمر، تامر مثلًا كان يعشق السفر، ينفق كل ماله على رحلاته حتى إن كانت لأماكن نائية، ندى كانت متهورة بعض الشيء، لم يكن لها أصدقاء من جنسها على الاطلاق، تقول دائمًا أن الفتيات شخصيات درامية تميل إلى النكد وأنها تريد أن تحيا بلا نكد، أما نوح فكان أبسطهم وأهدئهم، يعشق الموسيقى ويدمن فيروز تمامًا مثلما يُدمن الحزن والوحدة، هو هذا الشخص الذي يستيقظ في السابعةِ صباحًا، يشرب قهوته في السابعة والنصف، يستمع إلى فيروز في الثامنة صباحًا ويفكر في الانتحار في تمام الثامنة والنصف، ولكن هذا الشخص لم يكن عليه نوح من قبل.

هو أنا بجد ليه بطوعك؟ سايب شغلي وواخد البنت الغلبانة دي وطالعين معاك دهب لسبب مجهول.

هو انت ما تُقفش جنب حد أبدًا؟

لا يا أستاذ نوح، مش بقف جنب حد، بتقفي انتي يا ندى؟

يعني حسب التساهيل كده.. نوح إيه بقى المفاجأة؟

ساعتين ونوصل وتعرفوا..

توقف تامر عن القيادة فجأة فأصدرت ندى شهقة وهي تضرب تامر في كتفه:

إنت حالف تموتني مخضوضة النهاردة؟

بصوا العربية المقلوبة دي!! تقريبًا في حد جواها.

تعالى يا تامر نشوف في إيه!!

المعادي

نصف ساعة مرت على هند بعدما وضعت طابع الacid ولم تشعر بأي شيءٍ مختلف يحدث لها، ولا شيء مما قاله عمر حدث لها.

أروى وعمر خرجوا إلى الحديقة الخلفية للشقة يتصرفون مثل القرود في الجبلاية، أما هند فجلست تنظر إلى حميد في تعجبٍ متسائلة:

هو أنا مش بعمل زيهم ليه؟ طب هو أنا بقول أي كلام؟

لا انتي زي الفل..

طب إيه؟

اطلعي كده لعمر وأروى.. حاولي تندمجي معاهم.

كان المشهد رغم غرابته مضحكًا للغاية، عمر كان ينظر لشجرةٍ صغيرة ويتحسس أوراقها بحبٍ وهو يضحك مثل الأطفال، أما أروى فكانت حرفيًا تتحدث إلى قطتها وبدا الحوار مهمًا للغاية.

نظرت هند لعمر وربتت على كتفهِ متسائلةً:

عمر.. هو انت شايف حاجات؟

تعالي يا هند شوفي الشجرة دي حلوة ازاي.. المسيها كده..

وانتي يا أروى.. أروى انتي بتعملي إيه؟

هند سيبيني أنا بتكلم مع القطة في حوار مهم..

بدا لها وكأنها حقًا في عنبرٍ للمرضى النفسيين وهم في حالةِ هياج، لا تفهم ولا تعي.. فقط تشعر بالإعياءِ الشديد ليس أكثر.

شاطئ عايدة – الأحد ١٧/١٢

يجلس يحيى أمام البحر مباشرةً، لم يُعِقهُ شيئًا في يومٍ من الجلوس في مكانه المفضل على الاطلاق بشاطئ عايدة في المنتزة.. يُحكم إغلاق سترته ويفرك يديه أملًا في بعض الدفء المؤقت، يندهِ على كلبهِ (زاك) الجولدن ريتريفر ولكن هيهات، كان زاك منشغلًا في اللعب بالرمال في سعادةٍ بالغة فتركه يحيى ليكمل لعبه وأخرج آخر سيجارةٍ من علبته وأشعلها بصعوبةٍ لشدة الهواء هذا الصباح وهو يتأمل توهجها.

تمطع يحيى فأصدرت عظامه صوتَ طقطقةٍ لها صوت محبب إلى قلبه وأفرد ظهره على الرمال ناظرًا للسماء في هذا النهار المُلبد بالغيوم، دقائق قليلة ووجد يدًا تُحركه فنظر في برودٍ شديد لمن اقتحم عليه وحدته فوجدها ياسمين، حبيبته تبتسم له في حزنٍ:

طب انا قافل موبايلي.. عرفتي مكاني منين؟

طول عمرك لما بتستخبى بتيجي هنا..

بس انا مش مستخبي.. أنا نزلت أفسح زاك شوية..

نازل تفسحه في اسكندرية؟ يحيى.. الناس كلها مستنياك في البيت..

مش هروَّح يا ياسمين..

يا حبيبي طنط محتاجه لك.. دا بردو أونكل جمال..

وهو أبويا اللي هو أونكل جمال بتاعك دا.. حسسني إني ابنه وهو عايش عشان أحس أنا بيه وهو ميت؟

بلاش قلبك يبقى إسود..

والله لو فيه ألوان تانية كنت طلعتها.. جمال شمس معلمنيش أشوف في حياته غير الإسود اللي مش عاجبك دا.. سبحان الله.. مع إنه كان مصوراتي قد الدنيا.. بس تقريبًا كان بيحب النيجاتيف أكتر من الصور نفسها..

يحيى.. أنا هاخد زاك عندي البيت.. وانت روح لطنط.. ما ينفعش حد غيرك يدفن أبوك..

الزمالك

وظيفة حسن تحتم عليه أن ينتبه جيدًا فيما يقوله العميل، أن يستمع للطلب ويُدوِّن على الشاشةِ أمامه ما يقوله العميل في سرعة، حتى وإن كان في الحقيقة لا يهتم فعليًا بما يقال له في الهاتف، أما تلك المكالمة؛ فهي متناهية الاختلاف عن مئات المكالمات التي يستقبلها هو يوميًا، مكالمة مسك وللمرة الأولى تأخذ حواسه وتركيزه لمكانٍ آخر.

عمرك سمعت عن نظرية ال٢٤ صورة؟

بصراحة لا.. أصل أنا اللي اخترعتها.. فأكيد ماسمعتش عنها.

هههه.. طب ينفع واحدة صاحبة نظريات تفكر في الانتحار..

ساعات أفكارنا هي اللي بتوصلنا لكده.. تحب تعرف النظرية؟

أكيد..

عارف إيه الفارق بين كاميرات زمان اللي بفيلم وكاميرات دلوقتي الديجيتال..

إن كاميرات دلوقتي صورتها أحسن مثلًا؟

تفكيرك ضيق.. كان لازم فعلا تشتغل كول سنتر..

مقبولة منك يا ستي.. إيه بقى الفرق يا ام تفكير واسع..؟!

دلوقتي الكاميرات بيتحط فيها كارت ميموري أيًا كان حجمه، تصور وتمسح زي ما تحب.. مفيش قيمة للصورة.. مفيش خوف حتى من إن الصورة تضيع أو خوف من الإعادة.. دايمًا الإعادة متاحة.. كاميرات زمان الفيلم بيبقى فيه ٢٤ صورة.. بتبقى خايف أوي على كل صورة منهم.. بتبقى عارف إن لو صورة قلشت منك مش هتعرف تعوضها ولو حاولت تعوضها يبقى بتضيع فرصة صورة تانية كان ممكن تصورها في رحلتك.. كان الصورة ليها قيمة..

كلام جميل جدًا.. بس أنا برضه مش فاهم إيه علاقة ده بإنك عايزه تنتحري؟!

اصبر على رزقك.. الحكاية كلها بدأت بكاميرا جديدة اشتريتها..

طريق السويس

داخل السيارة وجدت فتاة عشرينية رائعة الجمال فاقدة الوعي وعلي مقدمة رأسها بعض الدم المتجلط إثر ارتطام رأسها بعجلة القيادة والذي يبدو وأنه تكون حديثًا، كانت ترتدي فستانًا فضفاضًا وشعرها البني لم يستطع الدم أن يخفي جماله، كانت السيارة من الداخل والخارج في حالة يرثى لها. دخلت ندى وجلست في المقعد المجاور للفتاة وحاولت أن تحركها، أما نوح فأحضر زجاجة

مياه من السيارة ووضع القليل على وجهها، أما تامر فقرر أن يدور حول السيارة ليتكهن سبب الحادث.

ما أن وضع نوح المياه على وجهها حتى شهقت كمن ردت إليه روحه ثم بدأت في السعال لدقيقة قبل أن تنظر لثلاثتهم وهي تتسأل عما حدث وأجابوا بدورهم عن عدم درايتهم سبب الحادث وأنهم فقط توقفوا ليساعدوها.

نظرت الفتاة إلى ندي في قلق وهي في حالة عدم إدراك وسألتها:

انتي مين؟

ندى.. وانتي؟

مش فاكره.. مش فاكره أي حاجه..

كوبري ستانلي

حياة عم عرفة ورغم كونها روتينية، ذات إيقاع بطيء بل تكاد تكون بلا إيقاع تقريبًا إلا أنه كان يحب حياته ويقدس مهنته، حتى بعد رحيل المركب، كان يشكر الله عز وجل على تلك الصنارة التي تعطيه من البحر ما يكفيه وأكثر، يذهب كل صباح إلى كوم الدكة وتحديدًا إلى متجر صديق عمره الحاج فاخر وهو رجل في العقد السابع من عمره، يمتلك محلًا صغيرًا داخل أحد الأزقة، يبيع فيه كل مستلزمات الصيد، يذهب إليه عرفة ليحتسي معه كوب الشاي بالقرنفل بعدها يشتري منه بعض الدود والجمبري كطعم للصيد بعدها يتجه إلى دكته المفضلة على كوبري ستانلي، يبسمل في رضا قبل أن يأخذ نفسًا عميقًا ليبدأ في الصيد من الصباح وحتى المغرب.

و لكن اليوم كان مختلفًا، كان هذا الصباح هادئًا لدرجة تدفعك إلى التساؤل عن سببه ولكن سرعان ما اندمج عرفة في تلقيم الصنارة لتقابل أمواج البحر ولكنه توقف فجأة عما يفعل عندما سمع

صوت بكاء قطة، يعلو مواؤها، ليس مواءً معتادًا بل يبدو كأن تلك القطة خائفة، نظر عرفة حوله لكنه لم يجد أي أثر للقطة.

استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وقال مبتسمًا:

أنا شكلي عجزت وخلاص خرفت.

لكن صوت القطة بدأ يعلو مرة أخرى:

لا ده شكله صوت بجد.. بسم الله الرحمن الرحيم!

المعادي

مر ما يقرب من الأربع ساعات فيهم لم تشعر هند بأي شيء على الاطلاق، وما أن بدأ مفعول الطوابع من الزوال عن أروى وعمر، اقترح حميد والذي كان يشعر بملل شديد أن يذهبوا لتناول بعض الطعام في (شارع ٩)، وافقت اروى على الفور وبالتالي وافق عمر، أما هند فكانت تشعر ببعض النعاس والاجهاد فاعتذرت لهم وقررت أن تستلقي على الكنبة حتى عودتهم من الخارج.

تعجبت بسبب أنها فعلًا لم تشعر بأي شيء، مرت الساعات وهي ترى أصدقاءها أقرب إلى المجذوبين ولكن ماذا عنها؟ لماذا لم تتحول مثلهم، لماذا لم ترَ وتسمع ما سمعوا هم ورأوا، شعرت بخيبة أمل شديدة لذا قررت أن تنام وتنسى اليوم برمته، قالت إلى نفسها إنه حقًا يومٌ مثل كل أيام حياتها.. لم ولن يختلف أي شيء.

دقائق قليلة وسمعت هند طرق على باب الشقة، أصابها الغضب الشديد من صديقتها التي -ورغم علمها بتعبها - لم تستخدم المفتاح الخاص بها وقررت أن تُقلق منام هند، قامت هند من مكانها بصعوبة بالغة بسبب الصداع الذي سيطر على كل حواسها وفتحت الباب غاضبة:

هو أنا مش قلت لك هنام شو....

ولكن من رأته أمامها ألجم لسانها؛ لجامًا جعلها تتيبس في مكانها في خوف، كان الطارق هو الفنان الراحل خالد صالح يقف مبتسمًا ويرتدي بدلة بيضاء، مد يده ليصافح هند قبل أن ينطق أول كلماته:

إيه يا هند.. كل ده نوم؟

فسقطت هند مغشيًا عليها.

شاطئ عايدة

أخذت ياسمين من يحيى كلبه «زاك» ورحلت إلى القاهرة مع سائقها بعد أن وعدها أنه سيعود للمنزل ليتمم مراسم الغسل والدفن.

أراح رأسه على الرمال مرة أخرى وعاد بذاكرته لأعوام طويلة قد ولت وغطاها التراب.

يتذكر يحيى جيدًا اللافتة التي تعلو ستوديو أبيه والتي حملت بحروفٍ بارزة رائعة الجمال اسم ستوديو شمس لصاحبه ومديره جمال شمس.

إوعى تلمس حاجة يا واد يا يحيى.

بس حضرتك وعدتني إنك هتعلمني التصوير.

لما تكبر هعلمك.. انت دلوقتي تمسك البراويز اللي في الفاترينة وتلمعها كويس وجري على البيت..

بس يا بابا أنا عايز اتعلم..

قلت لك أما تكبر..

كم تمنى يحيى أن يعلمه أباه مهنته التي كانت تبهره ويعشقها، كانت الصور بالنسبة له أمرًا أشبه بالخيال، جهاز صغير تخرج منه آلاف الأوراق التي تحمل بداخلها صورنا وصور من نحب لتعيش بعدها إلى الأبد، يرحل من يرحل وتظل الصور للأبد.

الزمالك

إيه حكاية الكاميرا اللي غيرت حياتك دي بقي؟

من ٣ شهور تقريبًا، كنت مع واحدة صاحبتي اسمها زينة في خان الخليلي، كانت هي عايزه تشتري جرامافون قديم عشان تحطه في مطعمها وبعدين فضلنا ساعات ندور بس ماكنش فيه حاجة عجباها أوي أو يعني حاجه شدتها لحد ما لقينا محل قديم جوا زقاق صغير كده بيبيع أنتيكات قديمة، كاميرات وتليفونات على راديوهات وطبعًا كان عنده من الجرامافون ده كل الأشكال اللي ممكن تتخيلها، زينة عينها وقعت على جهاز شكله قديم أوي بس قالت خلاص إن هو ده اللي هي عايزاه وانا فضلت اتفرج جوه المحل لحد ما لقيت ورا رف من الرفوف باب صغير أو سرداب وطبعًا الفضول خلاني أدخل اتفرج، المهم في الوقت اللي زينة فيه قاعدة بتفاصل على تمن الجرامافون كنت أنا وصلت للجزء الخفي من المحل لحد ما لقيت علبة شكلها غريب وسط الكراكيب، فضلت أعافر كده بس العلبة ماكنتش عايزه تفتح، كأنها ما تفتحتش قبل كده أو بقالها سنين طويلة مقفولة، وفي الوقت اللي إيدي شالت غطا العلبة واتمدت جواها كان صاحب المحل بيصرخ فيا إني أسيب العلبة بسرعة من إيدي واطلع من هنا بس كان الوقت خلاص فات، إيدي كانت خلاص مسكت اللي جوا العلبة، كاميرا قديمة أوي عمري ما شفت زيها قبل كده، ورغم إني كتير شفت كاميرات قديمة وأشكالها غريبة إلا إن الكاميرا دي كانت مش شبه أي حاجة قابلتها عيوني..

وإيه اللي خلا الراجل يزعق؟ كان خايف على الكاميرا؟

ده اللي أنا كنت فكراه.. بس ما طلعش ده السبب خالص يا حسن، فضل يقول إيه اللي دخلك هنا ودي منطقة خاصة والمعروضات كلها قدامك أهو، وصدقني أنا شخصيا مش عارفه إيه اللي دخلني السرداب ده، مش عارفه أشرحها لك إزاي بس كان فيه طاقة قوية بتشدني إني أدخل وأمسك الكاميرا..

كوبري ستانلي

ترك صنارته وأرحها على سور الكوبري وبدأ عم عرفة في البحث عن مصدر المواء والذي ولوهلة ظن أنه يسمعه منفردًا داخل رأسه، دقائق قليلة حتى رأى مشهدًا غريبًا، قطة صغيرة لا يتعدى عمرها الخمسة أشهر بتقديره هو، تقف حبيسة على عمود من عواميد الكوبري والذي يربط بين الكوبري والبحر، قطة صغيرة خائفة وعلى الأرجح جائعة يحيطها البحر من كل الاتجاهات، تعجب عرفة من منظر القطة وتعجب أكثر من عدم إدراكه لكيفية وصولها لهذا المكان فهو من المستحيل الوصول لتلك الأعمدة إلا عن طريق البحر.

إنتي ازاي نزلتي هنا..!!

ساعات وهو يحاول أن يستغيث بأحد ليساعده ولكن ما بين عدم اكتراث البعض وسخرية البعض الآخر، وجد عرفة نفسه في هذا العالم وحيدًا مكلفًا بإنقاذ تلك القطة البائسة.

طريق السويس

هنعمل إيه؟

قالها تامر في توتر وهو ينظر للفتاة التي لا تعرف اسمًا لنفسها بينما كانت ندى تضع ضمادة جروح على رأسها.

ناخدها معانا.

قالها نوح بتردد ولكنه وجد رفضًا تامًا من تامر وندى والذين رأوا أن وجود تلك الفتاة معهم قد يسبب الكثير من المشاكل وأن من الأفضل أن يذهبوا بها لأقرب كمين أو حتى مستشفى ويتركوها هناك، ولكنه كان يراها بعين مختلفة عنهم، يشفق عليها وقد يفعل أي شيء ليساعدها ويداويها.

احنا بينا وبين دهب ساعة، ناخدها نوديها المستشفى ويمكن هناك تبقى أحسن وتفتكر هي مين.

ولو ما افتكرتش؟ هتجيبها تعيش معاك ولا انت بتفكر إزاي يا عبقري.

مفيش واحدة هتسافر مشوار زي ده لوحدها إلا لو كان وراها حاجة أو محتاجة حاجة.. ما ينفعش نسيبها لكمين ولا لمستشفى.. هتتبهدل.. وخصوصًا إن مفيش معاها بطاقة ولا أي ورق يقول لنا هي مين..

يلا طيب.. أما نشوف آخرتها معاك يا نوح.

بين أحضان الجبال مضوا في طريقهم حتى بدأ البحر في الظهور إلى جانبهم، نظر نوح إلى البحر نظرة غير مفهومة، البحر الذي جعله نوح بيته الثاني فخذله، ملعون هذا البحر الذي يغريك بلونه المبهر وانعكاس أشعة الشمس عليه فيزداد سحره، فتقترب أكثر فقط لكي يوقظك من حلمك الوردي بشكل شديد البشاعة.

سرحت في إيه؟

لا أنا تمام.. أنا زي الفل يا صديقي.

المعادي

دقائق مرت قبل أن تستفيق هند التي ظنت أنها كانت تحلم لتجد نفسها على الأريكة وإلى جانبها يجلس خالد صالح يتابع مباراة في التلفاز، شهقت هند لرؤيته مرة أخرى فانتبه لها مبتسمًا بعدها قام بإغلاق المباراة والتفت إليها متسائلًا:

انتي خايفة مني ولا إيه؟

قال جملته فابتعدت هند بضعة سنتيمترات للخلف تحسبًا لأي شيء قد يحدث في هذا الموقف الذي لا تحسد عليه أطلاقًا.

هو.. هو حضرتك حقيقي؟

ابتسم هو لها عند سماعه لهذا السؤال وقام من مكانه في حركة مسرحية سريعة ليقف أمامها وظهره للشباك، اكتمال القمر في تلك الليلة جعله يظهر في موقعه هذا على هيئة سيلويت ولكن رغم عدم اتضاح ملامحه إلا أنها رأت لمعة عينه وهو ينطق جملته التالية متسائلًا:

إيه في الدنيا حقيقي يا هند؟

.....

اللي احنا عايزين نشوفه حقيقي هو بس اللي حقيقي..

سرت القشعريرة في جسدها بعد سماعها لتلك الجملة الأخيرة ولكن كان الخوف مسيطرًا عليها فأجابت ببطء:

مش فاهمة حاجة..

فاكرة يا هند زمان وانتي صغيرة كانوا العيال في المدرسة مسمينك إيه؟

عادت هند برأسها للوراء عندما سألها هذا السؤال، كان الجميع يتحاشاها وهي طفلة، لا يحبها الأطفال ولا يحبها المدرسون، في حصة ألالعاب تجلس وحيدة لا تشارك البنات أو الأولاد لعبهم وتبدأ بالتحدث مع نفسها، وفي حصة الرسم كانت تختار موقعًا فارغًا في الفصل وتبدأ برسم أشكال لم يفهمها أحد أبدًا، تذكرت كل هذا وأكثر ثم قالت في حزن/.

هند الملبوسة..

فاكره ليه كانوا بيقولوا كده عليكي؟

عشان كنت بشوف حاجات.. بسمع واتكلم مع طاقات محدش غيري بيشوفها ولا بيسمعها.. وبعدين لما كبرت شوية الموضوع ده بطل يحصل.. لحد أما..

لحد أما شوفتيني دلوقتي.. عندك أي تفسير؟

منزل آل شمس

دلف يحيى للمنزل والذي كان القرآن ينبثق من جدرانه بصوت الشيخ نصر الدين طوبار الخارج من جهاز الكاسيت، وجوه مألوفة وآخرون لم يتعرف عليهم، الكثير من الهمهمات يسمعها يحيى وهو غير مكترث، يراه الجميع أنه الابن العاق المنشق الجاحد والكثير من المرادفات التي تشكله كشخص أناني حقير لم يحب أبيه يومًا، ترك كل هذا ودخل إلى غرفة والديه لكي يطمئن على أمه.

كان المشهد مهيبًا حقًا، أبوه يستلقي على ظهره نائمًا في ثبات وبلا أي حراك وإلى جانب الفراش جلست أمه على مقعدها الوثير تقرأ في مصحفها وعيناها مغرورقتان بالدموع، اقترب منها يحيى وربت عليها في حنان وقبل رأسها، رفعت إليه عيناها اللوامة ولم تقل شيئًا، جلس يحيى إلى جانب قدميها وقال لها وهو يحاول الابتسام:

اطلعي يا ماما شوفي الناس وسيبيني معاه شوية..

خليني قاعدة جنبه يا يحيى.

يا حبيبتي اطلعي شويه ارتاحي.. أنا هفضل جنبه.

ماشي.. إوعى يكون الكلب معاك في البيت!!

مع ياسمين.. ما تقلقيش..

خرجت الأم إلى خارج الغرفة بعد أن ساعدها يحيى على القيام من مقعدها وبقي هو مع أقرب شخص له في الدنيا والغريب تمامًا عنه أيضًا، جمال شمس، نظر إلى والده بتمعن، كم يبدو جميلًا وهو هادئ، يجلس في مكانه بلا حراك، كم هو وسيم، قالها يحيى في سره والذي أدرك إنه بالفعل يشبهه تمامًا، اقترب منه يحيى في تردد وجلس إلى جانبه وما أن مد يده لتلامس أصابعه وسادة الأب سمع صوت يشبه «خرفشة الأكياس البلاستيكية» فانتفض راجعًا إلى الخلف.

الزمالك

إيه اللي خلاه يخاف كده؟

هحكي لك بس حاول تصدقني.

وليه ممكن مصدقش؟

عشان أنا قعدت شوية لحد ما صدقت..

احكي يا مسك بس وسيبي التصديق عليا.

في الأول افتكرت إن الموضوع ليه علاقة بتمن الكاميرا، أو إنها كاميرا أثرية بس أنا لقيته اتخض وزعق فيا وقال لي إني ما مسكش الكاميرا بإيدي بس أنا كنت فعلًا خلاص فتحت العلبة والكاميرا بين صوابعي، فضل الراجل يلعن نفسه ويلعن حياته ويلعن الكاميرا اللي هو حلف مليون حلفان إنه متأكد من إنه اتخلص منها مرة واتنين وبرضه بترجع تاني، فضل على الحال ده شويه وبعدها هدي وقالي إني دلوقتي في اختبار مهم وان مجرد ما أنا لمست الكاميرا دي أصبحت جزء مني لحد ما انتهي من نظرية ال٢٤ صورة.

ليه حاسك بتحكي لي عن أسطورة أو قصة من ألف ليلة وليلة وان الكاميرا هيطلع منها عفريت بقى.

مش قلت لك إنك مش هتصدق.

الموضوع مش إني أصدق أو ما اصدقش.. الموضوع إني محتاج أفهم..

في الأول عدى على بالي كل أفلام الرعب اللي شوفتها في حياتي، كل فيلم كان فيه أشياء ملعونة وفي الآخر صاحبها مات بسببها.. بس المرة دي الموضوع كان مختلف.. صاحب المحل قال لي إن الكاميرا بيملكها اللي بيلمسها وبتكون ملكه لحد اما يصور بيها ٢٤ صورة وهي عدد الصور اللي موجودة في فيلم الكاميرا وقال لي كمان إن الكاميرا هي اللي بتختار صاحبها وان بما إني لقيت الكاميرا ده معناه إنها اصبحت ملكي..

طب لو افترضنا إن كلامه صح.. وافترضنا كمان إن الكاميرا هي اللي اختارتك.. فين المشكلة؟

المشكلة مش إن الكاميرا يطلع منها عفريت.. المشكلة إن الكاميرا هي العفريت..

كوبري ستانلي

وقف عم عرفة قليل الحيلة ينظر لتلك القطة في حزن وهي تنتفض كلما قفزت موجة أمامها أو سمعت صوت ارتطام الموج بالبلوكات الخراسانية، ظل عم عرفة ينظر حوله حتى وجد أمين شرطة يدخن سيجارة فهرول إليه.

يا باشا.. الحقني يا باشا.

فيه ايه يا جدع انت؟

القطة تحت على الخرسانة يا باشا.. هتغرق.

قطة إيه يا راجل يا مخبول انت؟

يا فندم دي قطة صغيرة وممكن تموت..

ما تموت.. اتكل على الله شوف أكل عيشك وبلاش لعب العيال ده.

تعجب عرفة من رد فعله! كيف له ألا يكترث لروح خلقها الله لا حول لها ولا قوة، تعجب مما يقول ويفعل بعض الأشخاص في أوقات عصيبة كتلك!

يا باشا.. دي روح يا باشا..

عرفة.. انت راجل كبير.. متخلينيش أغلط فيك وانت شايب كده.. لو كان عيل صغير كنت بعت جبت فرقة انقاذ وطلعته.. إنما دي حتة قطة.. ولعلمك بقى، في كذا صياد بمركب حاولوا يطلعوها امبارح بس كل اما حد يقرب منها تخاف وتستخبي في جحر جوه الخرسانة فا ما تعملش فيها ابن العشرين سنة وجاي تضيع وقتك ووقتي، خليك في أكل عيشك وسيب القطة دي لنصيبها..

دهب

في الطريق إلى دهب، جلس تامر على عجلة القيادة إلى جانبه نوح وفي المقعد الخلفي جلست ندى تحتضن الفتاة المصابة التي استغرقت في نوم عميق، أخرج نوح من حقيبته هاتفه وأوصله بسلك الـ aux ليخرج صوت منير حزينًا وهو يغني «لفوا بينا.. قالوا لينا.. قالوا بينا عالمدينة.. لما جينا التقينا.. كل شيء فيها ناسينا».

«الفصول في كل عام.. فيكي تتغير قوام.. روح يا قمر الليل ونام.. ده السكوت زي الكلام».

يا لهوي قديمة أوي الأغنية دي.

من أحلى أغاني منير.. تيجي ننزل البحر؟

انت مش بتزهق؟ احنا من ساعة ما بنصحي لحد بليل وانت في البحر.

هتغيري من البحر يا سلمى؟

لا مش تافهة أوي كده.. وبعدين أنا جعانة!

طيب تعالي نروح ناكل ونقعد بعدها شوية في Everyday نشد حجر.

إيه نشد حجر دي! اسمها نشرب شيشة!

يلا يا سلمى.. يلا الله يرضي عليكي.

كل إجازة كانا يذهبان إلى مكان جديد، داخل أو خارج البلاد، فعلاقة عمرها يزيد عن الست سنوات تسمح لك أن تفعل ما يحلو لك حرفيًا.

فاكر سفرية المغرب لما قعدتنا مع البياع في السوق ٤ ساعات بتنقي جلاليب ليك ولعيلتك واحد واحد؟ ده أنا كنت قربت أتشل اليوم ده!!

بقى دي الحاجة اللي فكراها ومش فاكره السنة اللي فاتت لما سيبتك ربع ساعة ودخلت الحمام في البار لما كنا في اليونان وطلعت لقيت رجالة البار عايزين يشقطوكي؟؟

تلك المرة قرر نوح أن يذهب مع سلمى لمدينة دهب للغطس وبسبب ولعه بالبحر كان يريد أن يبقى داخل أحضان المياه لأطول فترة ممكنة.

في الليلة التي سبقت نهار اليوم المشئوم كانا في سيارة نوح متجهين إلى اللاجونا، في الطريق توقفت سيارة أمامهم مرة واحدة مما جعلت نوح يضغط على الفرامل في سرعة ولكنه لم يهتم أن يحدث أي مشكلة مع السائق لأنه لم يرد أن يعكر صفو ليلته أي شيء.

دايمًا عندي مشكلة مع الناس اللي بتفرمل مرة واحدة..

سيبك منه.. مش ده اللي هيبوظ الموود يعني.

ما اقصدش على السواق ده بس.. أقصد أي حد بيفرمل فجأة.. الناس اللي بتنهي علاقات من غير تمهيد.. الناس اللي بتمشي وتفارق حياتنا من غير سبب.. حتى الناس اللي بيسيبونا غصب عنهم بس مش بيسيبوا لينا أي تمهيد.. دي أكتر حاجة ممكن توجع قلب أي حد يا نوح..

وأنا أوعدك يا ستي إني مش هفرمل أبدًا.. هفضل دايس بنزين كده لحد ما تزهقي مني.. وهسمعك كمان أغنية بتحبيها.

احتضنها نوح وأوصل هاتفه بسلك الـ aux ليخرج صوت منير كمن يحب لأول مرة وهو يشدو:

«طريقي داير دواير.. يا حلوة يا ام الضفاير.. حاير وعاشق وصابر.. صابر وعاشق وحاير..».

اندمج الحبيبان في الغناء في ليلة قد يتوارى الكمال من شدة روعتها.

في صباح اليوم التالي اتجه نوح وسلمى للبلوهول، وكما يطلق عليها الكثيرون.. النداهة.

لم يذهب شخص لأي مدينة من مدن البحر الأحمر إلا وقد انبهر بلون بحرها وسحره الأخاذ، ولكن للبلوهول سحر مختلف، سحر أسود يجذبك لكي تقع في شباكه مثلما تقع الفريسة في شباك عنكبوت العصلاء، وكيفما يقوم سم العصلاء بتدمير الأنسجة؛ يقوم البلوهول بتنويمك مغنطيسيًا لتأخذك من يديك عروس للبحر لتظنها في بادئ الأمر تبحث عن صديق جديد حتى تكتشف بعد دقائق إنها تبحث عن صديق فقط كي يعيش معها تحت أعماق البحار.

إيه.. مش هتنزل؟

هشرب السيجارة دي وأنام شوية.. من إمتي بتبقي ملهوفة على البحر كده؟

اعتبرني بقلدك يا سيدي..

عندما يتذكر نوح هذا اليوم، يصاب بشلل في ذكرياته.. كل شيء لا يظهر بوضوح، صور مشوشة وألوان تصيبك بالعمى على أقل تقدير، كل ما يتذكره نوح عن هذا اليوم هو أنه لم يعد ذلك الإنسان مرة أخرى من بعدها، لقطات سريعة لأشخاص يصرخون في البحر، يصحو من غفوته ليرى الكثير من السباحين يحملون سلمى وهي بلا حراك.. يتجمد هو في مكانه ولا يقوى حتى على الاقتراب منها ليقوم بالإسعافات الأولية لها والتي يحفظها عن ظهر قلب، تذكر أن عامل الإغاثة لم يكن هناك ولا حتى الإسعاف أتى في وقت مناسب.. يتذكر عيني سلمى والحياة تغيب عنهما وعن قلبه هو أيضًا..

أفاق نوح على صوت تامر وهو يمسكه من ذراعه.

يا عم نوح.. حمد الله على السلامة.. احنا وصلنا.

المعادي

له كاريزما طاغية.. هذا أول شيء أدركته هند عن خالد صالح الذي يجلس أمامها لا خالد صالح التي طالما عشقت أفلامه وافتتنت بأدواره العبقرية.. أدركت أن من يجلس معها هو أقرب ما يكون لما أرادته في حياتها كأب لها.. كم خافت منه في أدوار كثيرة وكرهته في أدوار أخرى.. هو فنانها المفضل بلا منازع.. تتذكر أنها بقيت في غرفتها لمدة أسبوع عندما علمت بخبر وفاته تبكي بحرقة كمن فقدت حبيبًا أو قريبًا.. وهاهو الآن يجلس معها.. لحمًا ودمًا.. تقريبًا.. يستمع لها في اهتمام ويحكي لها الكثير والكثير عن فلسفته الخاصة.

وآخرة الوحده يا هند؟

عادي.. اتعودت.. وبعدين ما أروى موجودة وعمر وحميد..

مش صحابك يا هند.. مش شبهك..

الناس في العادي مش بيقبلوني.. كأني من كوكب تاني.. إحساس وحش لما الناس تحسسك إنك من كوكب تاني.. والأوحش إنك تحاول تخلي نفسك تنتمي للناس دول وبرضه بتفشل..

وليه تنتمي ليهم يا هند، إنتي فريدة من نوعك.. إنتي مكانك مش هنا يا هند..

كان يقول اسمها في كل جملة يوجهها لها، ولم تستطع هي أن تداري سعادتها وشعورها بأنها مميزة لكونه يستخدم اسمها في كل عبارة يوجهها لها، نظرت له في سعادة وهي تسأله:

طب أنا مكاني فين؟

في الصومعة.. انتي مكانك في الصومعة..

منزل آل شمس

عاد يحيى لهدوئه فور تأكده أن هذا الصوت لم يكن ينبعث من والده، هو على الأرجح شنطة بلاستيكية تركتها الأم وقد كان تقريبًا على حق، فعند عودته مرة أخرى بالقرب من والده، مد يده فأخرج ظرفًا صغيرًا مغلقًا حينما أمسكه يحيى في يده وجده مكتوبًا عليه بخط صغير «إلى ابني.. يحيى».

سرت رعشة في جسده حينما وجد اسمه على الظرف، تعجب أيضًا من سبب ترك جمال شمس أي شيء له، فهو لم يره أو يحدثه منذ سنوات طويلة..، هو حتى متأكد أن والده لم يترك له أي شيء من ميراثه؛ لاعتقاده المؤكد أن جمال شمس لا يعتبره حيًا حتى، ألقى يحيى نظرة أخرى على والده قبل أن يغوص في مقعد أمه ليقرأ ما بداخل الظرف.

محتويات الظرف كانت ورقة صغيرة مطوية وما يقرب من عشرين صورة فوتوغرافية، داخل الورقة قرأ التالي..

«ابني يحيى.

وحشتني.

طبعًا عارف إنك هتقول عني إني راجل مخبول.. هتقول أبويا اللي سابني سنين حياتي أكبر وانا بعيد عنه جاي دلوقتي يفتكر إنه ليه ابن.. عارفك هتفكر مثلًا إني خايف أموت ومع موتي اسمي يتنسي وكأنه ما كنش ليه وجود.. أو هتقول إن جمال شمس خايف الستوديو بتاعه يتقفل من بعده.. وأكيد هتسأل نفسك اشمعنى دلوقتي.. أنا يا يحيى خفت عليك مني.. خفت إنك تصبح تلاقي نفسك عايش عمرك بتشتغل بين أربع حيطان.. ماسك في إيديك كاميرا إنت ما بتحبهاش.. بتصور وشوش ناس مش عارف تحبهم وانت فاكر إن ده اللي انت عايزه بفعل إنها مهنة أبوك.. تحبها وراثة.. وتلاقي نفسك بتتنفس حتى وراثة.. وتعيش عمرك كله ندمان إنك آمنت بيا في يوم من اأايام.. عارف يا يحيى.. أنا عمري ما كان نفسي أكون مصوراتي.. على قد اجتهادي في الشغلانه وعمري اللي ضاع عليها بس عمري ما كنت عايزها.. هتضحك عليا لما أقول لك إني كان نفسي أبقى شاعر وأديب. بس فتحت عيني لقيت أبويا مصوراتي.. كنت زيك كده وأنا صغير.. مبهور بالكاميرات ودوشة الستوديو والناس.. كنت أفرح أوي لما كان حد يقول لي يا اسطى جمال.. الأسطى الصغير.. كبرت وانا فاهم إن هو ده اللي أنا عايزه.. بس الحاجات الحلوة مش بتعيش كتير.. عمرها قصير.. بعد شوية سنين في الشغلانة اكتشفت إن إيدي كتير بتتسحب كده على أي ورقة وقلم.. أسيب اللي ورايا في الستوديو واكتب لي كلمتين حب على شوية غزل.. واقول الله يا واد يا جمال.. اكتشفت إن ده اللي أنا عايزه بس بعد فوات الأوان.. كان خلاص في كوم لحم بصرف عليه.. معاك ما رضتش إنك تعيش كل اللي أنا عيشته أبدًا.. كنت ببعدك عشان تبقى حر.. تبقى حر وتعرف تاخد القرار اللي أنا ما عرفتش آخده زمان.. مع الجواب ده هتلاقي صور لأهم ذكريات عمري.. هتلاقي نفسك فيهم كلهم...ده يا ابني أكبر دليل أقدر أثبت لك بيه إن برغم كل اللي في بالك عني.. إني ما حبتش حد قد ما حبيتك.. أنا سيبت لك الستوديو وكتبته باسمك.. عايز

تبيعه.. عايز تشغله أو عايز حتى تنسى إنه موجود.. ليك مطلق الحرية.. دلوقتي.. وفي حياتك كلها.

أبوك.

جمال شمس

لم يقوَ يحيى أن يتمالك نفسه بعدما انتهى من قراءة الجواب، سقط على ركبتيه يبكي كطفل ضائع بين يدي والده والتي رغم برودتها الشديدة إلا أن يحيى لم يشعر بشيء أدفأ وأحن منها طوال حياته.

الزمالك

يتذكر حسن دراسته.. الفلسفة.. هو حقًا لا يتذكر شيئًا مما درسه.. ولكن ما يتذكره حقًا أن ما من شيء درسه قد يخرجه ويخرج تلك المسكينة من هذا الموقف الذي لم يرَ مثله أبدًا.

الكاميرا دي وراها حدوتة أنا ما اعرفهاش، كل اللي أقدر أقوله ليك بس إن كل حاجة عنها حقيقي.. بص يا حسن.. الكاميرا دي بتختار صاحبها.. ولما بتختاره بتمتحنه.. أو بتخيره يعني.. ليك إنك تختار ٢٤ حاجة بس تعيش بيهم باقي حياتك.. أي حاجة غير الـ ٢٤ حاجة دول انت هتتحرم منها..

مش فاهم.. حاولي تفهميني معلش.

يعني انت قدامك تختار ٢٤ حاجة، ممكن تختار أشخاص بتحبهم أو أماكن أو حتى أشياء، المهم إنهم يكونوا ٢٤ حاجة بس.. أي حاجة تانية هتتحرم منها.. بشكل أو بآخر.. مش هتحس بطعمها أو هتختفي من قدامك أو حتى هتنسى إن كان ليها وجود..

والحاجات اللي أنا عايز أعيش بيها.. الـ ٢٤ حاجة دول يعني.. باختارهم ازاي..؟

بتصورهم.. لو أشخاص أو أماكن أو أشياء.. بتصورهم وبتحتفظ بيهم باقي حياتك.. لو عايز تحتفظ بفعل معين.. زي الحب، بتصور صورة ترمز للحب.. لو عايز تحتفظ بالكره حتى.. بتصور فعل يدل على كره.. أول ما بتصور الـ ٢٤ صورة اللي هما عدد فيلم الكاميرا، الكاميرا بتختفي وتظهر لشخص تاني هي برضه اللي بتختاره..

أنا مش بقول إنك كدابة.. بس انتي ازاي عايزاني أصدق قصة زي دي؟

لما البياع حكى لي القصة دي أكيد أنا كمان ما صدقتش.. أخدت الكاميرا وانا بضحك أصلًا.. فرحانة بيها وبإني ما شوفتش أي حاجة تشبهها.. روحت يوميها البيت وفضيت ليها مكان في مكتبتي ودخلت سريري.. الغريبة ورغم إني كنت تعبانة جدًا اليوم ده بس ما عرفتش أنام.. كل شوية أقعد في السرير وأبص على المكان اللي فيه الكاميرا وكأن في نداهة بتنده عليا وبتشدني.. قمت من سريري وانا جوايا فكرة غريبة شوية بس حاجه جوايا كانت بتلح عليا إني أعملها.. فتحت شباك أوضتي وصوبت الكاميرا لبلكونة الجيران.. كان عندهم قفص فيه عصفورتين.. بقالهم سنين بشوفهم كل يوم بفتح فيه الشباك.. قلت في سري إني هصور عصفور واحد منهم بس وده اللي هيفضل موجود كل يوم لما اصحى أشوفه أما التاني وجوده بالنسبة ليا زي عدمه وجوه الكادر بتاعي كان فيه العصفور اللي اخترته وصورته.. المؤشر الرقمي اللي على الكاميرا اتحول رقمه من ٢٤ لـ ٢٣ بمعني إني فعلًا استهلكت صورة من اختياراتي رجعت الكاميرا مكانها ودخلت سريري ونمت، بعد ساعتين سمعت صوت جارتي وهي بتفتح البلكونة عندها عشان تأكل العصافير وفجأة سمعتها بتعيط..

يا رب اللي في بالي ما يكنش هو اللي حصل..

للأسف.. فتحت شباكي ولقيت إن العصفور اللي أنا ما صورتوش مات..

ما ده أكيد عمره يا مسك.. هو العصفور ده مكتوب له يموت ساعتها..

أنا كمان قلت كده وقتها.. بس تاني يوم جربت تاني في الشجرة اللي تحت بيتنا.. أولا من بعد الحادثة دي والعصفور اللي أنا اخترته هرب من قفصه وبقى ليل ونهار واقف قدام شباكي وكأنه أصبح ملكي.. أما الشجرة اللي صورتها، لقيت مكانها في الشارع بقى بالظبط تحت بلكونتي وواصلة لشباكي وهي محنية.. وكأنها بتقدم لي فروض الولاء والطاعة.. صدقت؟

صدقت!.. مسك إنتي فاضل كام صورة في فيلم الكاميرا دي؟

واحدة... صورة واحدة يا حسن.

كوبري ستانلي

ترك عم عرفة عدته مع صياد آخر صديقه واستقل تاكسي لأقرب سوبر ماركت، من هناك قام بشراء جردلين صغيرين، حبل غسيل، علبة تونة وزجاجة مياه كبيرة واتجه عائدًا لكوبري ستانلي.

كان المارة يتابعونه باهتمام، يتسألون عما يفعل هذا العجوز المخبول. وأتت الإجابة في الحال حينما قام بربط كل جردل بحبل طويل ووضع في الأول بعض الماء وفي الثاني أفرغ علبة التونة وأنزلهم برفق لمكان القطة والتي بعد تردد طويل اقتربت أولا لجردل الماء وشربت كمن لم يشرب منذ أعوام وبعد أن تجرعت نصف محتوى الجردل من الماء اقتربت للجردل الآخر وأكلت حتى شبعت، وقتها فقط تنفس عم عرفة الصعداء وبدأ يفكر في كيفية إنقاذ تلك القطة.

الفكرة الأولى والتي باءت بالفشل الذريع هي أن يتسلق العمود الخرساني إلى أسفل ولكن ما إن هم بفعلته حتى أتى الناس إليه مسرعين معتقدين أنه ينوي الانتحار وأتى إليه عسكري المرور متوعدًا بحبسه إن أقدم على هذا الفعل مرة أخرى.

أعمل إيه بس يا رب.. أسيب القطة تموت؟

وكان الحل الثاني أقل جنونًا، أتى عرفة بقطعة من القماش وكتب عليها بخط كبير «أنقذوا القطة» وقام بربط قماشته في أطراف صنارتيه وجلس ينتظر الفرج من أي شخص.

الزمالك

إنت مين؟

سألت مسك محدثها، الذي ورغم كونه من الغرباء إلا أنه وفي تلك اللحظة أقرب إليها من حبل وريدها.

أنا إنسان عادي جدًا.. من اللي بيحلموا بزوجة تكون بنت حلال وطيبة وشغلانة وإني أخلف عيال عادية زيي.. مش عايز أخلف عيال موهوبين فايموتوا بحسرتهم لما يلاقوا إن مفيش حد مقدر الموهبة ولا عايزهم يكونوا عباقرة ويشتغلوا في الآخر بألفين جنيه في الشهر فا يموتوا من القهرة.. عايز عيلة صغيرة.. نسهر نتفرج على فيلم قديم واحنا بنقزقز لب.. وفي يوم أجازتي أقعد اذاكر للعيال عشان اخلي مراتي ترتاح شوية من الزعيق والخناق.. واتخانق معاها أنا على مصروف البيت اللي بيخلص في نص الشهر منها.. واستنى لما تهدي فا اقوم اصالحها واحضنها حضن ينسيها كل الزعل.. ويوم الخميس بقى اخدها ونروح السينما وتنام هي في نص الفيلم فا ابصلها بنظرة حنينة واضحك.. ونعيش متدفيين بحبنا وولادنا.. ونكبر ونعجز سوا.. وفي الآخر أموت زي أي حد عادي.. ميفتكروش غير اللي حبوه بجد وساعتها يترحموا عليا ويقروا لي الفاتحة فا احس بيها وافرح.. واحمد ربنا على الناس اللي ما بتنساش ومبتتغيرش..

كأنك شايف كل اللي بتحكيه يا حسن.. انت حبيت قبل كده؟

حبيت.. مرة واحدة.

ليه ما كملتوش؟

لأ هو السؤال الصح بقى.. ليه اصلا مابقتوش مع بعض.. عارفه انتي القصة التقليدية بتاعت خلينا اصحاب ومش قادرة أشوفك أي حاجة تانية غير أخ.. بس انا حبيتها.. كنت براقبها زي العيال المحرومين.. بسمع حكاويها منها واتخيل نفسي دايمًا بطل حواديتها.. أول مرة قررت ابعد عنها قالت لي ما تزعلش ووالله أنا ما استاهلكش.. وكنت بطلت أنام وباخد أدوية للاكتئاب وأدوية للنوم ومفيش حاجة بتعمل حاجة.. لحد ما في يوم صحيت من النوم وانا مقرر إني هبعد واختفي عشان نفسي وعشان أقدر أعيش، وجودها يا مسك كان مرض وانا ماكنتش عايز أعيش حياتي كلها مريض بيها وبطارد سراب، قفلت حسابي على الفيسبوك وغيرت نمرتي وتقريبًا قطعت علاقتي بأي شخص يربطني بيها بدون أي سابق إنذار، استقلت من شغلي واشتغلت في الكول سنتر زي ما انتي شايفة كده، شغلانة ابقى قاعد فيها ليل ونهار بين ٤ حيطان ومفيش مجال حتى إني أشوفها أو تشوفني.

جرحِتك أوي؟

على قد ما اتجرحت على قد ما اتعلمت..

أصدر حسن بعض النهنهة وقد تأثرت مسك لصوته وحكيه.

حسن انت كويس؟

أنا زي الفل.. سيبك مني أنا. كملي حكاية الكاميرا..

دهب

داخل غرفة الطوارئ جلس نوح إلى جانب تلك الفتاة يتأملها وهو يشعر بشعور غريب تجاهها، يشعر أنه يعرفها أو ربما قابلها من قبل ولكنه لا يتذكر أي شيءٍ عنها.

ظهر الطبيب يحمل معه بعض الأوراق والآشعّات ووقف أمام الأصدقاء الثلاثة متسائلًا:

مين فيكم جوزها؟

وبالطبع أشار تامر إلى نوح وهو يبتسم في بلاهة إلى الطبيب:

نوح جوزها يا دكتور..

توتر نوح ولكنه تدارك الموقف سريعًا وهو يبتسم نفس الابتسامة البلهاء التي ابتسمها تامر للتو قائلًا:

آه أنا جوزها.. خير يا دكتور؟

ارتجاج في المخ.. وشوية كدامات.. بس الحمد لله مفيش نزيف، المدام هتحتاج ترتاح كام يوم في المستشفى عشان نطمن وبعدها تقدروا تمشوا.

شكرًا يا دكتور..

بعدما اطمأنوا عليها خرجوا إلى الشارع وقد ظهرت على ندي آثار التعب:

هنعمل ايه بقي دلوقتي؟ مش نروح نرتاح شويه ولا إيه؟. إنت حجزت لنا فين؟

اركبوا طيب وهوريكوا.. أنا اشتريت شقة في دهب.

نعم؟!. ليه؟؟

اشتغلت هنا يا جماعة.. بعت كل حاجة وقررت ابدأ هنا حياتي، هي دي المفاجأة اللي حضرتها ليكم..

وهتشتغل إيه بقى إن شاء الله؟

منقذ.

المعادي

تعرف كل أدواره، تحفظها ظهرًا عن قلب، تعشقه حتى الثمالة وترى في أعينه عوالم خفية لم يكتشفها البشر بعد.

تتذكر أول مرة شاهدت فيلمًا له، كان دوره في فيلم ملاكي اسكندرية وكانت في كل مرة تعاود مشاهدة الفيلم تضحك من قلبها على مشهده وهو في السيارة ويردد «فيه سبب تاني.. في سبب تاني» وقد استخدمت تلك الجملة في الكثير والكثير من مواقف حياتها.

الصومعة؟

آه يا هند.. ملتقى العظماء اللي زيك.. واللي زيي طبعًا.

قال جملته الأخيرة وهو يضحك مثل الأطفال.

كتير من الناس العظيمة على مر التاريخ ما اتقدروش صح.. وكان العالم ده مش مكانهم الحقيقي.. الناس دول كلهم في الصومعة مش بيعملوا أي حاجة غير إنهم بيخلقوا فن ليهم وللعظماء اللي زيهم.

مين في الصومعة دي؟

ممم.. ناس كتير.. سعاد حسني، عبد الحليم حافظ، فؤاد المهندس، أحمد زكي، نجيب محفوظ...كتير أوي يا هند.. مسيرك تقابليهم قريب..

طب أنا عندي سؤال.. أنا آسفة.. بس دول ناس حقيقيين..؟

إيه في الدنيا حقيقي يا هند؟

ابتسمت للمرة الأولى منذ جلستهم وأجابت:

اللي احنا عايزين نشوفه حقيقي هو بس اللي حقيقي.

نظر إليها في سعادة الأب الفخور بابنته وقد شعر أنها وأخيرًا قد تعلمت منه شيئًا أراد أن يصلها منذ اللحظة الأولي، عاودت هي الابتسام وقد استفاقت مرة أخرى وهي تتساءل».

بس أنا برضه مش فاهمة.. إيه هي الصومعة؟

زي الناسك المتعبد، زي الشيخ الزاهد عن الحياة واللي فيها.. هي دي ببساطة فكرة الصومعة.. ناس مش بتعمل أي حاجة غير إنها بتصنع فن.. فن وبس يا هند، تخيلي كده كل فيلم شفتيه في حياتك وحبتيه تقدري انتي تكوني بطلته، كل أغنية عشقتيها تقدري تكتبي فيها مقطوعات جديدة.. عندك عالم من الخيال تستخدميه ويصبح رهن إشارتك وملك إيديكي..

فتح حقيبة صغيرة لم ترها هند عندما فتحت له الباب وأخرج منها علبة صغيرة مغلقة بعناية شديدة وأعطاها لهند مبتسمًا ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة نفَضَها أمامها وهو يشير لخطوط على الورقة:

دي الخريطة اللي هتوصلك للصومعة.. ولما توصلي بالسلامة افتحي العلبة واستخدمي اللي فيها بالشكل اللي يناسب خيالك.

الشكل اللي يناسب خيالي؟

هتفهمي لما توصلي..

بعدها أخرج مفتاح سيارة من جيبه الآخر وناوله لهند:

ودي عربيتك.. هتلاقيها تحت العمارة، تخديها وتطلعي على الصومعة تبدأي بدايتك الجديدة يا هند.. يلا مفيش وقت..

حاضر.. هشوفك تاني؟

هنتقابل هناك.. ما تقلقيش.

أخذت هند العلبة الصغيرة وخرجت من المنزل متجهة للسيارة، أدارت محركها ونقرت ما كتب على الخريطة على جهاز الجي بي إس وتحركت نحو طريق مجهول وهي في حالة من الذهول وعدم الإدراك، ظلت هند تقود سيارتها وكلما شعرت أن الوقت يمر بطيئا كلما زادت من سرعتها حتى تستطيع أن تصل قبل أن يحل الظلام، بدأت تشعر بالعرق والتوتر.

تذكرت وهي تقود كلمات حميد لها وهو يقول «بصي انتي أكيد هتهلوسي، أكيد هتشوفي حاجات وهمية»، تذكرت أيضًا كلامه عن الـ bad trip، باغتها صداعًا قويًا شعرت معه وكأن ناقوسًا قد تم دقه في مقدمة رأسها، نظرت إلى يمينها فرأت سعاد حسني تجلس إلى جانبها ترتدي فستانًا زهريًا جميلًا وهي تبتسم لها، أما في الكنبة الخلفية جلس عبدالحليم حافظ ناظرًا من نافذة السيارة واضعًا ساقًا على ساق وهو يدندن كلمات أغنيته «كامل الاوصاف فتني.. والعيون السود خدوني.. من هواهم رحت اغني.. آه يا ليلي آه يا عين»، بدأ العرق يتصبب من هند كالمطر وهي تزيد من سرعتها وهي ما زالت في نفس الذهول المسيطر على كل حواسها، تجسد لها إلى جانب عبدالحليم، خالد صالح مرة أخرى ولكن تلك المرة بدا عليه الإرهاق، تلاقت أعينهم ولكنه نبهها أن تنتبه إلى الطريق ولكن قد فات الوقت، انحرفت السيارة من هند وبدأت في الدوران في الهواء عدة مرات قبل أن تسقط السيارة على جانب الطريق وهند فاقدة للوعي.

وحيدة في تلك السيارة على طريق خالٍ من السيارات.

طريقٍ يؤدي إلى دهب.

منزل يحيى

بعدما أتم يحيى الدفن هو وأقاربه، أعاد أمه إلى منزل خالته التي أرادت أن تمكث معها بضعة أيام وعاد هو إلى شقته حيث كانت ياسمين في انتظاره هي وزاك الذي قفز عليه في سعادة عندما وجده قادمًا نحوهما.

أكلتيه ولا هياكلنا؟

متقلقش.. أكل وكله تمام.

نظر يحيى لياسمين وقد اعتصر الحزن قلبه واقتربت هي منه لتأخذه بين ذراعيها والذي ما أن لامس ذراعيها شرع في البكاء مثل الأطفال، ظل في نحيبه لعدة دقائق وكانت أولى كلماته:

أنا شكلي ظلمته يا ياسمين..

مين؟

بابا..

اول مرة اسمعك بتقول بابا..

ساب لي الجواب ده.. والصور دي.. أول مرة أشوفهم.

حملت الصور الكثير من الذكريات، حملت أيامًا جميلة من طفولة يحيى لم يعلم قبل اليوم أن تم حفظها بعدسة والده الذي لم يعرفه حقًا في حال حياته.

أمسكت ياسمين بالجواب وقرأته في سعادة، تنهدت هي موجهة نظرها ليحيى لتسأله:

ناوي على إيه؟

هرجع البيت عشان أفضل جنب ماما.. وهافتح الستوديو..

وأمسك يديها يقبلهما ثم أكمل.

و ها اتجوزك يا ياسمين..

الزمالك – ٣١/١٢

إزاي فضل معاكي صورة واحدة؟ أعتقد الاختيار لو بالشكل دا هيبقى تقريبًا مستحيل..

ومين قالك إن الاختيار كان سهل؟ السلطة إدمان حتى لو كانت السلطة دي في اختيار هتعيش تندم عليه حياتك كلها، انت متخيل يعني إيه تتخانق مع حد بتحبه وفي عز زعلك تقرر إنه ميبقاش موجود تاني؟ يختفي وكأنك عامله block بس من حياتك فعليا! انت متخيل يا حسن؟

وطبعًا فضلتي ماشية ورا مشاعرك ومشاعرك في الأغلب بتوصلك لنتايج غلط.. بتفكريني بنفسي وبأني قد إيه مشيت ورا قلبي كتير وفي كل مرة بَقع على جدور رقبتي زي العبيط..

صدقني يا حسن أنا في ألاول كنت متأكدة اني ممكن أحقق التوازن في حياتي والكاميرا دي معايا.. هبقى دارسة وعارفة بالظبط أنا جاهزة اتخلص من إيه واخلي معايا إيه.. لكن في النهاية بتكتشف إنك بتخسر كل حاجة وانت مش حاسس.. بتخسر حتى نفسك.. أنا عايشة جوا كابوس وخلاص بنهار وخلاص تعبت.. وفعلًا الحل الوحيد هو إني أنتحر وارتاح.. يمكن كمان الحاجات اللي ضاعت مني لما ما خترتهاش اشوفها قدام عينيا بتصوير بطيء زي الأفلام وانا بنتحر من فوق عمارتي.. هتبقى موتة درامية أوي صح؟

تفتكري إن هو ده الحل؟ إنك تنهي حياتك؟. هتسيبي حتة كاميرا تتحكم في حياتك ومشاعرك؟. تعيشي وتخليها تتحكم فيكي؟

في الأول كنت برضه بقول زيك.. إن دي حتة كاميرا.. ممكن تكون مسحورة بس مش هتبقى أقوى مني.. وفي الآخر اهو زي ما انت شايف.

كوبري ستانلي

بدأ المارة يتلفتون لعرفة واليافطة التي يحملها بين يديه المرتعشة ويسألونه عما يحدث وعن قصة تلك القطة، حاول الكثيرون أن يساعدوها ولكن هيهات، دقائق مرت وربما ساعات وعم عرفة لم يبرح مكانه حتى وجد بعض عربات التلفزيون والقنوات الفضائية تقترب منه، موجهين ميكروفوناتهم صوبه ليسألوه عن حكاية القطة.

لم يعد عرفة يعود إلى المنزل، أصبحت تلك القطة هي منزله وسكنه وكل ماله في الدنيا، يشعر أنه رسول له مهمة، بطل مثل الأبطال الذي كان يشاهد أفلامهم في القهوة وأن لابد وان يحارب الشر وينقذ الأبرياء ولكن في حالته هو فهو ينقذ قطة وليس بشرًا، لكنه أحب القطط أكثر مما أحب البشر، ووجد الحب والعرفان من القطط أكثر مما وجد من البشر.

ستوديو شمس

في إحدى الميادين الشهيرة بمنطقة وسط البلد، كانت ساعة يحيى تشير للسادسة صباحًا، الناس ما زالوا نيامًا والصمت يحيط بالشوارع، ليس صمت الليل الموحش بل صمت أعطى للأجواء صفاءً وسلامًا شعر بهما يحيى وهو يقترب من الباب الحديدي الذي وضع عليه قفلا حديديًا ضخمًا أصاب الصدأ كل أطرافه.

أخرج من حقيبة ظهره سلسلة مفاتيح ضخمة كانت قد أعطتها إليه أمه الليلة الماضية قبل نومها، ظل يبحث وسط عشرات المفاتيح على المفتاح المنشود، مفتاحًا يحمل رسمًا بارزًا لكلب أسود تذكره هو عندما لمحه بين أصابعه، وضع المفتاح في مستقره بالقفل فانفرج مفتوحًا.

أخذ يحيى نفسًا عميقًا قبل أن يقوم بربط سلسلة كلبه بالباب الحديدي ودلف إلى داخل عالم أبيه، هذا العالم الذي لم تطأه قدمه منذ سنوات طويلة، كل شيء يبدوا كما كان منذ طفولته، كان ستوديو شمس ملك للخواجة ليمان اليوناني في الماضي، وقبل عودته إلى اليونان اشترى جد يحيى الأستوديو منه وقام بتغيير اسمه من ستوديو ليمان إلى ستوديو شمس.

طوال السنوات حافظت العائلة على شكل الأستوديو وديكوره القديم، كما احتفظوا بكل الكاميرات ومعدات التصوير القديمة، مثل الكاميرا المنفاخ التي لها عجل حتى يسهل نقلها وتحريكها، الفلاش الماغنسيوم، معمل التحميض الأبيض والأسود، وأفلام التصوير المصنوعة من الزجاج، لم يكن ستوديو شمس مجرد ستوديو عادي، فهو بمثابة شاهد على تاريخ التصوير في مصر.

أمضى يحيى ساعات الصباح الأولى محاطًا بذكريات والده وجده حتى غلبه النعاس على كرسي والده حتى استيقظ من نومه على صوت نباح كلبه زاك الذي بدأت الشمس في مضايقته فقام وأدخله إلى الأستوديو وعاد إلى كرسيه ولكنه انتبه إلى زاك الذي ظل واقفًا متسمرًا أمام دولاب خشبي صغير مغلق بقفل كبير لا يتذكر أنه قد رأه من قبل والغريب أيضًا أن من بين كل المفاتيح التي معه، مفتاح هذا القفل لم يكن موجودًا.

دهب

صباح النور.

صباح.. الخير..

عاملة إيه دلوقتي؟. الدكتور طمني عليكي.

لسه مش فاكرة حاجة..

دورنا معاكي على أي إثبات شخصية، ولا لقينا بطاقة أو كارنيه أو أي ورق يقول لنا أي حاجة عنك بس انتي هتقعدي معانا واحنا هناخد بالنا منك لحد ما تفتكري حاجة أو حد من أهلك يظهر.

معاكوا مين..؟

أنا وصحابي اللي شفتيهم امبارح.. ما تخافيش.. كل حاجة هتبقى تمام.

مغرم بلطفها، مغرم بخوفها ومغرم بقلة حيلتها لكونها فتاة وحيدة في مواجهة العالم، يرى في نفسه منقذها، يري فيها أملًا لنفسه، يرى في نفسه شًخصا قدر له أن يفعل معها ما لم يستطع أن يفعل مع سلمى، من المؤكد إنه يراها سلمى أو ربما يبحث عن سلمى بداخلها ولكنه يدرك أنه مقبل على شيء حاول كثيرًا تجنبه والاقتراب منه.

كانت الشقة التي اشتراها نوح تقع مباشرة على الممشى، شقة هادئة تقع أعلى مطعم إيطالي أصحابه من إيطاليا، دهنت الشقة بالكامل باللون الأزرق الفاتح وهو ما لم يرد نوح تغييره، وقرر الصديقان البقاء معه حتى تستقر أوضاعه.

الزمالك – ٣١/١٢

الكاميرا في الأول بتخليك تحس إنك انت اللي بتختار، إنك انت سيد القرار والمتحكم الأول والأخير في الصور اللي بتحتفظ بيها، لما عدوا أول كام صورة وبدأت افهم عملت ورقة كده كتبت فيها الحاجات اللي أحب جدًا إني أحتفظ بيها للأبد وبمعنى تاني تفضل موجودة طول حياتي، الحاجات دي تلخصت في سريري اللي مش بحب أبدًا أغيره، بيتي اللي بخاف حتى اتخيل إنه ممكن في يوم يتباع، بيتنا القديم بتاع العجمي عشان وجوده لوحده بيشيل جواه ذكريات أخاف تضيع لو راح، الشوكولاتة عشان بتحتويني أكتر من أي شيء تاني وخصوصًا النوتيلا، جنينة بيت جدتي عشان مليان بصحابي الفراشات اللي ياما اتكلمت معاهم زمان، البحر عشان هو.. البحر، محطة الرمل في اسكندرية عشان بتفكرني دايمًا بفعل الحرية والانطلاق، شرايط الفيديو اللي ابويا

صورها لي وانا صغيرة عشان منها اتعلمت معنى الحب، المدرسة بتاعتي ولو سمحت ماتتريقش أنا شخصية كانت بتحب المدرسة جدًا، صندوق صغير كده بشيل فيه الخواتم بتاعتي وسناني اللي كنت بخلعها وانا صغيرة وعلى قد ما أدركت إن دي حاجة مقرفة جدًا بس لسه عايزاهم موجودين..

طب والاشخاص؟

مالهم الاشخاص؟

أقصد.. مفيش أشخاص عايزه تحتفظي بيهم؟

عندي شعور كده إن حتى لو اخترت أشخاص بحبهم اوي وصورتهم، إن مع مرور الوقت إحساسهم ناحيتي هيتغير حتى لو فضلوا موجودين.. أنا ما قدرش اختار أو يعني أجبر حد انه يفضل عايش جنبي.. ده مش عدل.. حتى أهلي من حقهم يكونوا مش موجودين ويعيشوا لنفسهم مش ليا.. انت لو اخترت هتختار إيه؟

مش عارف.. فكرة الاختيار مخيفة جدًا بالنسبة ليا.. يمكن لأني عمري ما اختارت.. طول عمري عندي أحلام وأمنيات كتير بس بيتركنوا على جنب.. أكبر أمنية مثلًا إني أسافر وما ارجعش تاني.. من ضمن الحاجات الكتير اللي نفسي أحققها فا السفر بالنسبة لي هيبقى حلمي الاول.. باسبوري موجود وبتأشيرة كمان.. بس هي الخطوة الأولي اللي دايمًا بخاف أخدها.

متعملش زيي.. ما تبقاش محبوس جوا نفسك يا حسن.

عندك حق.. بتحبي عبدالحليم يا مسك؟

آه.. اشمعني؟

لا أصله شغال في الراديو جنبي.. وتخيلت كده للحظة فكرة إن حد يقرر إنه يحتفظ بعبدالحليم للأبد يغني له.. أنا شكلي بدأت أخرف.

وسط البلد

توقفت سيارة الأجرة يقطع صوت فراملها الصمت المخيم على الميدان الذي نام جميع ساكنيه تقريبًا، بدا على وجه مراد الحزن وهو ما زال يحمل تلك العلبة التي أخذها معه وهو ذاهب إلى حفلة عبدالحليم ولكن سرعان ما تبددت أحزانه عندما وجد أمامه جارتهم لوزة والتي في أغلب الظن تعمل بمهنة الدعارة كما يعتقد الجميع، الذي ابتسم لها قائلا:

مش هتيجي تنوريني وتديني الشرف إني أصور الوش الغزال ده؟

هيحصل يا مراد افندي.. وغلاوتك هيحصل.

مضت هي في طريقها إلى داخل العمارة بينما وقف هو يتمطع مطقطقًا فقرات عموده الفقري فابتسم في راحة، سحب كرسيًا مركونًا على باب محله وجلس مشعلًا سيجارة ولكنه رأي خيالا لشخص يدخن في منتصف الميدان أمامه فنادى عليه مراد أن يقترب، أتى طفلٌ مسرعًا وهو يبدد آثار الدخان من عليه مقتربًا من الأستاذ لمراد:

انت بتعمل إيه دلوقتي في الشارع؟

كنت.. كنت بشم هوا.

وانا كام مرة أقولك مفيش نزول بالليل.. ده احنا حتى مش بالليل.. ده احنا بقينا الصبح.. اتفضل على فوق ولو الموضوع ده اتكرر تاني هيبقى عقابك وخيم يا ولد!!

وقبل أن يدلف ابنه إلى داخل العمارة سمع والده يقول محذرًا:

وبلاش الهباب الدخان.. هيخليك تندم بعدين على صحتك اللي هيضيعها.

صعد ابنه إلى أعلى وظل مراد جالسًا في مكانه يحرك العلبة بين يديه الاثنتين ثم قام بفتح المحل ووضع العلبة داخل دولاب خشبي كبير وقام بإغلاقه بعناية، دقائق قليلة وقام بضم أبواب المحل وثبتها بقفل كبير، أحكم إغلاق جاكيت البدلة وظل ينتظر وصول صديقه منير و(قدره الأسود) كما يحب أن يطلق عليه حتى اقترب منير منه مبتسمًا في صفاء وهو يلقي عليه السلام:

انت لو جاي من أسوان لهنا ماكنتش اتأخرت كدا.

بلاش مبالغة.. اتبسطت في الحفلة؟

هو انا اتبسط بعقل.. صوته بياخدني عالم تاني يا منير، بس عبدالحليم شكله تعبان..

ماتقلقش عليه.. هيبقي زي الفل بإذن الله.. صورته؟

صورته.. وهفضل اصوره.. يا رب يكون بفايدة بس.. أنا حاسس ان طول ماهو بيتصور بغير رضاه هيبقي كل ده مالوش مفعول.

بفايدة إن شاء الله.. ربنا يعلم أنا عملت إه عشان اجيب لك الحل ده.

ساعات بخاف الكلام ده يطلع خزعبلات من بتوع أبوك.. انت ناسي حواديته.

يا سيدي بقولك ما تقلقش.. المهم معاك شوكولاتة ولا نروح نجيب؟ وبعدين أنا دماغي بتون عايزه فنجال قهوة من بتوعك.

أطلق منير اسم (شوكولاتة) على الحشيش، وقد تعود هو ومراد أن يسهرا معًا مرة في الشهر وتقريبًا تكون بعد حفل عبد الحليم الذي يواظب الأخير على حضورها كل شهر ولاعتقاد الأول أن مراد يكون في أسعد وأفضل أحواله بعدما يستمع ويري العندليب الأسمر.

قام مراد من فوق الكرسي وفتح المحل مرة أخرى ليجلس هو وصديقه بالداخل بعيدًا عن برودة الجو وعن أعين الناس ليقوموا بشرب (الشوكولاتة) دون إزعاج.

خلطة بن من عند الحاج حسني، بنت حرام! مستكة وقرنفل وزودت عليهم بندق من عندي، خد سعادتك جهز الجوزة وانا ها اعمل لنا القهوة.

ظل الصديقان يشربان الحشيش حتى الساعات الأولي من صباح اليوم التالي وهما يغنيان لعبد الحليم في سعادة وانتشاء قبل أن يعود مراد لحالته المزاجية السيئة ويقول:

أنا هخلي الواد جمال يكمل قصة عبد الحليم دي لو جرالي حاجة.

يكملها ازاي يا مراد.. سيب الواد يركز في دروسه.. كفاية مخبول واحد في العيلة.

أنا بتكلم جد.. أصلك ماتعرفش حليم ده عندي إيه.. حليم ما ينفعش يموت زي باقي البشر كده.. ما ينفعش يا منير.

بدأ الموضوع مع مراد قبيل تلك الليلة بعدة أعوام، في حفل لعبد الحليم يشبه ذلك الحفل الذي حضره ولكن قبل أن يشتد التعب على حليم وتبدأ علامات الإعياء تظهر عليه، عشق مراد له كان مترسخًا نابعًا حقًا من داخل أعماق قلبه، علم من بعض الأصدقاء ما يدور في حياة حليم الشخصية وقرر يومها أن ينتظره في الباب الخلفي للمسرح ليتحدث معه بشأن مساعدته.

انتهت الحفل في تلك الليلة وظل مراد منتظرًا في باب خروج العندليب وفرقته لما يقرب من الساعتين، خرج أفراد الفرقة الواحد تلو الآخر وهو جالس على الأرض، عيناه معلقتان بالباب حتى خرج من الباب يرتدي معطفًا صوفي أبيض منتظرًا سائقه، اقترب منه مراد على استحياء مبتسمًا:

مساء الخير يا أستاذ حليم.

مساء النور يا افندم.

مراد شمس.. مصور فوتوغرفيا.

تشرفنا.

أنا اللي اتشرفت اني واقف قدام حضرتك يا عندليب.

بعد إذنك يا أستاذ مراد.

أنا.. أنا حابب اتكلم مع حضرتك في موضوع شخصي.

للأسف أنا عندي المصور الخاص بتاعي..

الموضوع مالوش علاقة بيا يا أستاذ حليم.. الموضوع يخصك شخصيا..

طيب انت أكيد متفهم إني ما ينفعش أفضل واقف كدا في الشارع بسبب الجماهير، لكن حضرتك تقدر تتفضل معايا في العربية وتفهمني.

أنا؟. اركب عربيتك؟.

ده لو ما عندكش مانع اكيد.

مانع؟ ده أنا ممكن أبات فيها يا عندليب.

كوبري ستانلي

أيام وليالي تمر وعرفة لا يفعل أي شيء في حياته سوى القطة، هي حياته وشغله الشاغل في الحياة، ثم تأتي الأفكار بلا تمهيد فتنفذها كالمنوم مغناطيسيًا، خصوصًا أن لم يكن لديك في الحياة ما تخسره أو تحزن عليه، أغلى ما كان لعرفة في يوم من الأيام كانت مركبته والتي تحطمت وتحطم

معها شعوره بالحنين إلى الأشياء والأشخاص، ولكن تجدد هذا الحب مع كرة الشَّعر تلك، الحزينة المسكينة الوحيدة والتي بالفعل.. تشبهه كثيرًا.

أنا حنط يا أمين.

قالها عم عرفة لأمين الشرطة القابع إلى جانبه يشاهد القطة وهي تأكل بعض الخبز:

بقولك إيه يا راجل يا مخبول انت، أنا مستحمل دوشة التلفزيون وساكت، بس انتحار في منطقة خدمتي مش هسمح.. قول يا صبح يا عم عرفة.

ابتسم عم عرفة وهو ينظر إلى السماء وهو يردد خلفه:

يا صبح.

دهب

تمر الأسابيع، وهند لا تعلم أنها هند، تعيش مع نوح. كل واحد منهم في غرفة منفصلة، يذهب هو يوميًا إلى البلو هول من السابعة صباحًا حتى الخامسة ليمارس مهنته الجديدة والتي لا يتقاضى أجرًا عنها كمنقذ وتذهب هند إلى عملها في سنتر للغطس كموظفة استقبال، بعدها يذهب ليمارس وظيفته الأخرى كطباخ بأحد المطاعم الإيطالية بالممشى. وفي الحادية عشر يلتقي بهند، أو حياة كما أسماها هو فيتناولان العشاء سويا ويقضون بعض الوقت في فعل أي شيء ويعودا بعدها للمنزل.

إيه رأيك اسميكي.. حياة؟

حياة؟. ليه؟

عشان من يوم ما دخلتي حياتي وانا حاسس إنك جيتي وجبتي معاكي الحياة.

نوح.. أنا ما اقدرش انكر اني من غيرك الله أعلم كان ممكن يجرا لي إيه.. بس أنا ما ينفعش أوعدك بأي حاجة لحد ما افتكر أنا مين..

وأنا مش عايز منك أي وعود.. زمان كان في بنت في حياتي وكانت حياتنا مليانة بالوعود بس ساعات كده بيبقى فيه حاجة أكبر مني ومن أي وعد ممكن يتقال.. حاجة اسمها القدر، زي القدر اللي خلاني أقابلك وتدخلي حياتي.

تفتكر ليه ماحدش من أهلي أو معارفي لقاني لحد دلوقتي، مع إنك سايب صورتي وموصافاتي في القسم.

هيلاقوكي يا حياة.. مسيرهم يلاقوكي وبعدين انتي زعلانة من قعدتك معايا؟ ده احنا هنا في دهب عايشين زي اللي عايشين جوه صومعة بتاعتهم لوحدهم.

صومعة؟!

إيه؟ أول مرة تسمعي الكلمة دي؟

بالعكس.. أنا حاسه إني سمعتها قبل كده.. بس مش قادرة افتكر.

ستوديو شمس

ظل يحيى يقلب كل مكان في الستوديو قد يجد فيه المفتاح لهذا الدولاب المجهول، حتى عثر أخيرا على ظرف مغلق كتب عليه «جمال مراد شمس»، فتحه بعناية فوجد بداخله مفتاحًا صدئًا بفعل السنين، وضعه في القفل فاستجاب له، لم يكن هناك شيء بداخله غير علبة صغيرة مغلقة وفوقها دفتر غطاه التراب.

بعد عدة محاولات قام بفتح العلبة فوجد كاميرا شكلها غريب بداخلها، لم يكتب عليها ماركة معينة أو بلد المنشأ، لا يوجد عليها أي شيء قد يثبت ماهيتها، حاول أن يفتحها فربما قد يعثر بداخلها

على فيلم ولكن هيهات، أضاء وميض الكاميرا وجلس يتفحصها حتى رأى بعض الكلمات والتي من الواضح أن هناك من نقشها على سطح الكاميرا مستخدما آلة حادة صغيرة مثل سكين مدببة أو إبرة، ولكن الكلمات لم تكن ظاهرة فقام بتصويرها بكاميرا المحمول وبدأ بتقريب الصورة حتى قرأ بصعوبة جملة «اللي احنا عايزين نشوفه حقيقي هو بس اللي حقيقي» فأعاد الكاميرا إلى علبتها وفتح الدفتر ليقرأ ما فيه.

حملت صفحات الدفتر قصة لكاميرا غريبة لم يعرف لها تاريخ ولم يعرف لها وريث، هي فقط تظهر وقتما تحب الظهور، كاميرا تعطيك وهمًا كان أو حقيقة فحسبما تراها أنت، تم القص في الدفتر أن من يحملها ويرغب بها تصبح ملكًا له ولو لفترة وجيزة من الزمن، الكثير والكثير من التحذيرات، أيقن يحيى إنه خط والده وتذكر جوابه الذي قال له فيه «كنت ببعدك عشان تبقى حر.. تبقى حر وتعرف تاخد القرار اللي أنا ماعرفتش آخده زمان».

سأل يحيى نفسه متعجبًا غير مدرك لما يحدث، هل يعقل أن أبيه قرر أن يبتعد عنه حتى لا يجعله أسيرًا في يوم من ألايام لتلك الكاميرا؟ ولكن هو الآن داخل الأستوديو. والكاميرا أمامه، هل تركها هو أم اختارت هي أن تكون له..؟!

هل لنا أصلا حق الاختيار؟ أم الاختيار أصلًا مجرد وهم؟

ظل يقرأ في الدفتر حتى وقعت عيناه على دفتر آخر يبدو أقدم من هذا، نفض عنه الغبار وبدأ يقرأ خطًا آخر، خطًا يعود إلى جده، مراد شمس.

كتب في مذكراته عن تلك الليلة التي قابل فيها نجمه المفضل ومعشوقه، عبد الحليم حافظ.

في سيارة عبد الحليم جلس مراد متوترًا يتملكه الخجل بينما نظرات العندليب له كلها تعجب منتظرًا من هذا المعجب أن يفصح عما بداخله.

اتفضل اتكلم يا أستاذ.

قالها عبد الحليم بصوته العذب:

حضرتك.. يعني.. أنا عرفت إنك عيان.

لم يتفاجأ حليم من كلماته فهو يعلم أن الصحافة تلاحقه منذ أن أصبح فناناً، ابتسم لمراد وأجابه:

حضرتك لو بتدور على سبق صحفي للأسف ما عنديش حاجة أقولها.. ولو فعلًا أمري مهم عند الناس فابدل ما يقروا عن مرضي ممكن يدعوا لي..

صدقني يا أستاذ حليم أنا مش صحفي.. أنا هدخل في الموضوع على طول.. الحكاية كلها إن فيه صديق ليا لقى عند والده كاميرا قديمة ومعاها شوية ورق، كانوا ضمن كراكيب كتير في السندرة ولقاهم بعد وفاة أبيه، الورق اللي كان جوه علبة الكاميرا بيقول إن الكاميرا دي لو صورت حاجة، فا الحاجة دي بتعيش مع الشخص اللي صورها وبتفضل موجودة في حال حياته.

ضحك عبد الحليم وأعاد خصلات شعره إلى الوراء واقترب قليلًا من مراد متسائلا:

طب لو إنت مت قبلي؟ مش كده انت بترهن حياتي بيك؟

ومين قال اني مافكرتش في الموضوع ده يا حليم.. ببساطة أنا مستعد أسخر ابني وابنه من بعده وكل عيلتي في سبيل انك تعيش للأبد يا حليم.. تبقي خالد..

أنا حقيقي مش عارف إنت عاقل ولا مجنون يا أستاذ مراد.. عرض مغري فعلًا بس أنا أحب إن فني هو اللي يخلدني.. مش اني افضل عايش عشان أثبت حضوري..

لكن...

قاطعه عبد الحليم وقد بدأت آثار الانزعاج تظهر عليه:

من غير لكن.. أرجوك.. وشكرًا على عرضك.

حكى مراد في مذكراته، أنه ظل يحاول لأعوام وأعوام أن يقنع حليم بفكرته ولكنه كان دائمًا يرفض، وعندما اشتد المرض على مراد قام بإلقاء مسئولية إقناع حليم على كاهل ابنه الوحيد جمال.

قام يحيى من مكانه ونظر لصورة والده المعلقة على الحائط وهو يقول لنفسه:

كنت خايف ليه.. ما حليم مات من سنين.. وانا اللي أخدته هو إني اتحرمت منك.

ذكر الدفتر أن الكاميرا تختار صاحبها، إنها تناديه ويشعر هو بطاقتها وبانجذابه نحوها ولكن الغريب إنه لم يشعر بذلك الإحساس، فقط قطعة من الجماد المتهالك.

أحضر يحيى صندوقًا كبيرًا وقام بوضع كل صورة خاصة بطفولته أو بعائلته بها وقام أيضا بوضع كاميرات والده، عدا تلك الكاميرا الملعونة، أخرج بعدها الصندوق ووضعه إلى جانب زاك ثم قام بإشعال النار في الأستوديو.

وبينما كانت النيران تضرم في تلك الجدران القديمة ويلتهم لهبها ما تبقى من أثر لهذا الأستوديو العتيق، وقف يحيى يتأمل نهاية وجب عليها الحدوث منذ زمن طويل، أمسك بهاتفه طالبًا أمه:

أمي.. حضري شنطتك يا حبيبتي.. هنسافر أنا وانتي وياسمين.. نبعد شوية لحد ما كل شيء يتصلح..

في مذكرات جمال شمس، حكى عن يوم وفاة حليم، العديد من الصحف وربما جميعها كتبوا في الصفحات الأولى في هذا اليوم عن خبر وفاة العندليب الأسمر، تضمنت الأخبار وفاة عبد الحليم مساء أمس في لندن بعدما أصيب بنزيف حاد وأن الأطباء بذلوا جهدًا كبيرًا لإنقاذه ولكنه سلّم

روحه إلى خالقه، سجلت جنازته كواحدة من أكبر الجنازات في تاريخ مصر إلى جانب انتحار بعض الفتيات حزنًا على فراقه.

في طفولة يحيى تذكر جملة كانت تقولها له أمه دائمًا، كانت تقول «ما تحبش حاجة أوي.. ولا تتعلق أوي بالناس وبالحاجات.. عشان يوم ما تروح منك ما تتوجعش أوي يا ابني»، الآن فقط وفي تلك اللحظة الكاملة أدرك ما كانت تشير له أمه.

أمسك بسلسة كلبه زاك ومشيا بعيدًا في سعادة، وبينما بدأ سكان المنطقة في الالتفاف حول الحريق محاولين إطفاءه، ابتعد يحيى وهو يدندن قائلا «لو أني أعرف خاتمتي.. ما كنت بدأت».

كوبري ستانلي

وكأن النداهة ألقت بسحرها عليه، يتحرك عم عرفة لا إراديًا باتجاه السور الحديدي، يرى قطته الصغيرة الخائفة، أسبوع وهو يطعمها ويرعاها ولكن شعورًا ما بداخله يخبره بأن الأوان قد حان أن يأخذ رد فعل مجرد من أن يعطي القطة بعض الأطعمة.

لا يتردد لحظة واحدة، بل يضع يديه البائشة المرتعشة على السور ويتأهب للقفز، إلى جانبه وقفت طفلة صغيرة متعجبة مما يفعله، ابتسم لها في ود وحنان قائلًا لها:

اسمك إيه يا حبيبتي؟

اسمي ريتال يا عمو.

كان لاسمها وقع جميل داخل قلبه، ابتسم لها عرفة وهو يداعب خصلات شعرها في حنان قائلا:

بصي يا ريتال يا حبيبتي.. أنا هنزل أجيب القطة المحبوسة اللي تحت.. أول ما احطها جوا الجردل اسحبيها وخلي بالك منها.. اتفقنا؟

حاضر يا عمو..

نفسًا عميقًا بعدها بلحظات ارتطام بموجات البحر.. وفي رحلة السقوط.. وقبل الارتطام بثوانٍ، خلقت في الخلفية موسيقى شديدة الحزن ومعها سمع قصيدة للشاعر عمرو حسن يقول فيها:

«علم بكاك يملا المدي مطره.. زي الموسيقي التصويرية في فيلم مش فاكره.. خلفية سابقة للحن تاني جديد.. صوت جاي من لا شيء تجاه لا شيء.. وجع بعيد بيمس جرح بعيد.. إنت الوحيد في المعركة بطولك.. إنت الوحيد.. إنت الوحيد».

لم تكن المياه باردة كما تخيلها عم عرفة، وربما هي شحنة الأدرنالين المنبعثة من أرجاء جسده هي التي جعلته يشعر بهذا الدفء ويتغاضى عن طعم الملح بين شفتيه، كانت القطة جالسة بلا حراك تشاهده وهو يسبح نحوها، مستسلمة ومستكينة، وراء ظهرها علبة صغيرة صدئة، حاول أن يفتح العلبة من باب الفضول لكنها لم تستجب، ربما بسبب يده المبللة وربما يكون ملح البحر جعلها أكثر تماسكًا فما فعل إلا أنه ألقى بالعلبة بعيدًا حتى استقرت فوق رأس صياد نائم في مركبه الصغير ووضع القطة داخل الجردل مناديًا على ريتال الصغيرة كي تسحبها.

بعدما اطمئن على القطة، نادى على ريتال وهو في حيرة إن كانت تلك ملوحة ماء البحر أم من عيونه الدامعة!

عارفة يا ريتال.. أنا حبيت القطط ووفيت ليهم عشان هي كانت بتحب القطط أوي..

هي مين يا عمو؟

كان اسمها مريم.. كانت جارتي من سنين لحد ما فجأة اختفت والله أعلم إن كانت اتجوزت أو سافرت ولا حتى ماتت.. بس أنا ماحبتش غيرها في حياتي وفضلت مخلص للحب ده.. والقطة دي كانت آخر دليل على حبي ليها.. أنا بس اللي ماكنتش شجاع بما يكفي إني أبوح ليها باللي جوايا فا كان لازم على الأقل أبقى شجاع مع القطة دي..

«دلوقتي أقدر أقولكم بالظبط.. فنجاني ليه دايمًا بإيد واحدة.. والسماعات بيموت لها ناحية.. ونعيش نسمع من ودن واحدة.. أكر الباب بإيد واحده.. رؤوس الشماعات واحدة.. وليه القناص عشان ينجح يشوف هدفه بعين واحده.. كأن في كل شيء غايب.. أمل دايب وطيف واحدة».

وانتهى الصياد.. وانتهى صيده.

انتهى وهو يأمل بيد حانية.. تحنو على قطط الشوارع.

دهب

خرجت هند لتتمشي ذات صباح على شاطئ البحر، كما تفعل كل يوم.

تضع سمعاتها وتمشي وهي تبلل أطراف قدميها في البحر لتعود بعدها إلى منزل نوح.

في إحدى المطاعم المطلة على البحر جلس أصدقاء هند. أروى وعمر وحميد وما أن رآها حميد حتى شهق وجرى نحوها مما أفزعها كثيرًا.

هند.. انتي فين كل الفترة دي؟

انتفضت هند وهي تحاول أن تبتعد عنه وهي تتمتم:

هن.. هند؟. اسمي.. حياة.

حياة مين.. هند أنا حميد ودول أروى وعمر صحابك.

احتضنتها أروى وهي تبكي بحرقة وعمر إلى جانبها غير مصدق:

أنا كنت خايفة يكون جرالك حاجة.. أنا آسفة، أنا اللي فضلت أزن عشان تجربي.

أنا فعلا مش فاهمة حاجة.. أنا عملت حادثة وناسية كل حاجة.

حادثة؟. ده زعلك وحش أوي.. عمومًا يا هند احنا قاعدين في الفندق اللي وراكي ده.. هستناكي.. ومش هرجع من غيرك.

مرتعبة هي عادت سريعًا إلى المنزل، حيث كان نوح في انتظارها، اقتربت منه وقصت عليه ما حدث، شعر بألم من خوف فقدانها.

القرار قرارك.. يا.. يا هند..

كنت خلاص اتعودت على حياة.

انتي لسه الحياة بالنسبة لي.. واخاف الحياة تفارق بعد ما اتلاقت..

أعمل ايه.. لو انت مكاني هتعمل ايه؟. هتختار حياة قديمة ولا حياة جديدة؟

هختار الحياة اللي أعرفها...

أنا هنزل على البحر شوية.. محتاجة أكون لوحدي..

على مركب صغير مقلوبة على الرمال، جلست هند تضم ساقيها إلى صدرها وهي تشاهد موج البحر الذي سافر طويلًا حتى وصل إلى الشاطئ ليستريح، وبينما هي جالسة تحاول استعادة أي شيء عن وجودها، اقترب منها شخص كانت قد قابلته من قبل.. يرتدي تيشيرت أزرق وشورت أبيض، جلس إلى جانبها وابتسم لها قائلا:

ازيك يا هند.

حضرتك تعرفني؟

أعرفك وتعرفيني يا هند.. الحادثة بس هتخليكي مش فاكره أي حاجة ولو حتى مؤقتا.

مين حضرتك؟ تعرف الولدين والبنت اللي قابلوني الصبح على البحر؟

لا ماعرفهمش.. ومش هقول ك أنا مين عشان مش هتصدقيني.

أنا.. أنا فعلا مش فاهمة حاجة.. الحكاية كلها إن...

قاطعها خالد صالح وهو مازال يبتسم لها تلك البسمة الحانية وقال:

أنا عارف الحكاية يا هند.. يهمني إنك انتي اللي تبقي عارفة، في مرة سألتك سؤال وجاوبتك كمان عليه، ودلوقتي هسألهولك مرة كمان.. إيه في الدنيا حقيقي يا هند؟

اللي احنا عايزين نشوفه حقيقي هو بس اللي حقيقي..

ورغم إنك ناسية كل حاجة.. افتكرتي الإجابة. أنا كده دوري خلص يا هند.. شوفي انتي إيه بالنسبة ليكي حقيقي من كل ده وعيشيه.. اختاري يا هند.. حرية الاختيار دي نعمة صدقيني..

الزمالك

كل سنة وانتي طيبة.. الساعة عدت ١٢.

شكرًا.. مفيش في إيدي ساعة بس سامعة صوت الألعاب النارية في الشارع.

الشفت بتاعي قرب يخلص.. تحبي أقابلك؟

صدقني أحسن لك وأحسن لي إني أفضل بالنسبة ليك مجرد صوت.. مجرد مكالمة مش أكتر.

أنا لازم أشوفك.. أتطمن عليكي حتى انك مش هتعملي في نفسك حاجة!

أنا عمري ما قلت لك إني مش هنتحر.. ولا طلبت منك تساعدني.. انا طلبت منك تسمعني بس يا حسن.

ساعات والنور هايطلع وهبقى لازم وقتها اقفل.. خليني بس أشوفك واتأكد إنك تمام.

إنت قدامك حياة طويلة تعيشها.. ماتعملش زيي وتعلق قدرك على حد أو حاجة.. اعمل انت قدرك بإيدك يا حسن..

بعد أن تمنت له أن يعيش حياة سعيدة حرة، أغلقت مسك الخط ووجد حسن نفسه وحيدًا مرة أخرى، لعدة ساعات شعر أنه شخص مهم وأن له سبب يعيش من أجله حتى وإن كان السبب وهميًا، حاول الاتصال برقم مسك من هاتفه ولكن جملة إن هذا الرقم غير موجود بالخدمة أصابته بصدمة مؤلمة، ظل قابعًا على مقعده حتى هلَّ الصباح وأتى الزملاء بعد ليلة طويلة، كان هو قد أمضى الساعات الماضية يكتب استقالته ليرحل من تلك الغرفة الباردة إلى الأبد.

أيام قليلة مضت بعدها كان حسن يقف على مصعد الطائرة المتجهة إلى نيويورك، نظر خلفه مبتسمًا وهو يقول بصوت يكاد يقترب إلى الهمس:

شكرًا.

دهب

في منطقة البلو هول، فرد نوح ذراعيه وانطلق سابحًا في الماء البارد بأدوات الغطس وهو يشاهد تلك المخلوقات البراقة التي تجوب البحار، لمح في إحدى الغطسات علبة صغيرة كانت في يوم من الأيام فوق قارب صغير في الإسكندرية ويشاء القدر أن تتنقل تلك العلبة حتى تستقر في البحر الاحمر عن طريق صياد شاب أراد أن يبيع تلك العلبة في إحدى مدن البحر الأحمر ولكن بالفعل تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن وتستقر العلبة في أعماق البحار.

اقترب نوح وهو يدقق النظر إلى تلك العلبة قبل أن يأخذها في يده ويخرج من الماء حيث كانت تلك الفتاة رائعة الجمال في انتظاره، هند كانت أو حياة فكلاهما حبيبته التي تركت كل شيء من أجله ونسي هو العالم من أجلها، احتضنها وغابا في قبلة طويلة قبل أن يحملها ويغادرا الشاطئ تاركا تلك العلبة التي نسي أمرها تماما فور أن رأى حبيبته وحياته.

أسوان

نشيطًا كعادته، يستيقظ تيمور من نومه وينهض من فراشه متجها لباب شقته ليأتي بالصحيفة التي لا يستطيع أن يبدأ يومه بدونها، يمد يده فيأخذ جريدته ويتجه إلى المطبخ لكي يتناول بعض عصير الكركاديه الذي أحضرته أمه معها من أسوان الليلة الماضية، يتجرع العصير من الزجاجة لكي يشعر بالارتواء، ينفض الصحيفة فيقرأ خبرًا في الصفحة الأخيرة يحمل عنوان «حادثة انتحار بشعة تقوم بها فتاة عشرينية في ليلة رأس السنة»، في منتصف الخبر وجدت صورة لشابة شديدة الجمال رغم أن الجريدة وضعت شريطًا أسود على أعين المنتحرة ولكن جمالها كان ظاهرًا.

روى الخبر أن الفتاة والتي تحمل اسم (م.ف) ألقت بنفسها من الدور العاشر بالبناية التي تسكن بها وقد اثبتت التحقيقات أن سجل هاتف المنتحرة وجد به مكالمة امتدت للعديد من الساعات بإحدى مطاعم الوجبات السريعة المشهورة وعلى الأرجح هي اتصلت بالمطعم عن طريق الخطأ قبل الانتحار.

يزفر تيمور في حزن قبل أن يرن هاتفه فيرد على صديقه المتصل:

وانت طيب يا حبيبي.. ربنا يجعلها سنة سعيدة عليك انت وعيلتك.. ولا حاجة.. زي كل سنة.. نمت بدري وصحيت بدري وشكلها سنة مملة زي كل اللي قبلها.

أنهى المكالمة قبل أن يلتقط مفاتيح منزله ليذهب ويشتري علبة سجائر من البقال أسفل منزله، فتح الباب فتعثرت قدمه بعلبة صغيرة مغلقة بعناية، أمسك بها في تعجب وهو ينظر حوله بحثًا عن

تاركها، يأخذ العلبة إلى الداخل ليكتشف عما بداخلها ويغلق باب شقته، الباب الذي حمل لافتة كتب عليها «تيمور منير متوكل»...

الفهرس

1 - الغلاف

2 - زي كل سنة

3 - إهداء

4 - إهداء خاص

5 - زي كل سنة

تم التحميل بواسطة

abjjad_free@